حقيقة وحقوق

الأخوة والصداقة



إعداد

بشير شبرو

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

حقيقة وحقوق

الأخوة والصداقة

دار الفرقان للنشر والتوزيع - ١٤٤٢/٢٠٢٠
ردمك : ١-٤٨-٦١٦-٩٩٣١-٩٧٨
الإيداع القانوني: السداسي الثاني، ٢٠٢٠
Dar Al-furquan Edition. 2020
ISBN: 978-9931-616-48-1
Dépôt Légal: 2eme semestre. 2020
ISBN 978-9931-616-35-1

الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ – ٢٠٢٠ م

الصف والإخراج الفني
بدار الفرقان

دار الفرقان للنشر والتوزيع

المقر التجاري: ٢٠ شارع أحمد حسينة
باب الوادي – بجوار مسجد السنة - الجزائر
جوال: ١٠ ٥٨ ٩٦ ٥٥٦ (٠) ٢١٣ ٠٠
dar.alfurquan@gmail.com

حقيقة وحقوق

الأخوة والصداقة

إعداد

بشير شبرو

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب ٧٠- ٧١].

أمّا بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

حقيقة وحقـــوق الأخـــوَّة والصّداقة

العبد المؤمن يستمد سعادته في هذه الحياة من أمرين:

أولهما: حسن الصلة بالله تعالى.

وثانيهما: حسن الصلة بعباد الله المؤمنين. الذين عقد الله بينهم رباط الأخوة الإيمانية.

وهذه الرابطة هي الركيزة الأساس بعد الإيمان بالله ﷻ الذي هو أساسها؛ حيث أمر الله بالاجتماع على أساس الإيمان فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢].

ثم قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ثم امتن بهذه النعمة الجليلة فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ

نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فلا أخوة بلا إيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]، ولا صداقة بلا تقوى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف:٦٧]، وإذا انعدمت الصلة الروحية الإيمانية التقت الأجساد على المصالح الذاتية، والمنافع الشخصية.

وهذه الرابطة هي قوام المجتمع، وقد كانت الدعامة الثانية – بعد بناء المسجد- في تأسيس دولة الإسلام في المدينة بعيد هجرة النّبي. ولقد كانت قصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قصة من عالم الحقيقة، ولكنها في طبيعتها أقرب إلى الأحلام، وهي قصة وقعت في الأرض، ولكنها في طبيعتها من عالم الخلد والجنان.

وفي المقابل فإن انفكاك هذه الرابطة هو سبب الفشل والضّياع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ لذا عمل الإسلام على توثيق عرى الأخوة ببيان فضائلها ومقاصدها وثمراتها ووسائل تعميقها، ووعد عليها أحسن الجزاء، واعتبرها وسيلة لكثير من المقاصد والغايات الشرعية العامة. [الرابطة الإيمانية: حقوقها آدابها أهدافها. لعبد الحكيم بن محمد بلال].

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾

حقائق عن الأخوّة

١ - **المقصود بها**: الأخوّة في الله، التي يلتقي فيها المؤمنون على حُب الله ومرضاته والاعتصام بمنهجه القويم.. ويَرعون فيها حقوقها، من المحبة والتناصح والتعاون والبذل، والحرص على اجتماع الكلمة ودفع الظلم والأذى، وتفقّد الأحوال، والإصلاح، والتقوى، والإحسان.. يقول الله ﷻ في محكم التنزيل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ١٠].

لاحظوا كلمة (إنما) في الآية الكريمة، فهي (أداة حصر)

أي أنّ الله ﷻ يخبرنا بأنه: لا أخوّة حقيقية إلا أخوّة الإيمان والإسلام، وعلاقة الأخوّة بين المؤمنين أقوى من علاقة النسب، تضعف بضعف إيمانهم، وتَقوى بقوّة هذا الإيمان!.. ويقوى الإيمان بقوّتها، ويضعف بضعفها!.. وهذا ما يجعلنا نقرّر القاعدة التالية: [**الأخوّة (في الله) والإيمان.. أمران متلازمان يؤثّر أحدهما على الآخر، فهما يضعفان معًا ويتقوّيان معًا**].

٢- **والأخوّة هي**: التي عقد الله ﷻ لواءها، وتدخّل لتحقيقها بين المؤمنين، لأهميّتها في رفع لواء الإسلام وحَمْل الأمانة التي أودعها جل شأنه في هذه الأمة ولدى أبنائها البررة: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣].

٣- الأخـوّة الحقيقيـة مبنيّـة علـى العقيـدة الصـحيحة السليمة، فكل مسلمٍ مؤمنٍ هو أخي في الإسلام، مهما كـان لونه أو جنسه أو بلده أو حسبه ونسبه.. وكـل كـافرٍ منحـرفٍ عن عقيدة الإسلام بعيد عني، أبرأ إلى الله منه ومـن صـحبته أو موالاته أو مناصرته أو مؤازرته، وخير أمثلةٍ على ذلك مـا يلي:

أ- إبـراهيم الخليـل عليه السلام مـع أبيـه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

فإبراهيم عليه السلام كان قد وعد أباه بأن يستغفر اللهَ له، لكنه عندما علم أنه من أهل النار وأنه عدوّ لله عز وجل.. تبرّأ منه!..

ب- نوح عليه السلام مع ولـده: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هود: ٤٥-٤٦].

ج- لوط ﵇ مع امرأته: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ [العنكبوت: ٣٣].

ثمرات الأخوّة في اللّه ﷻ

١- نَيْلُ رضى الله ﷻ وحبّه وحُسن عبادته وأجره: قال رسول الله ﷺ: «**ما تحابا رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله ﷻ أشدهما حبا لصاحبه**»(١).

٢- التنعّم بحلاوة الإيمان: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوة الإيمان.. وأن يُحِبَّ المرءَ لا يحبّه إلا لله**». [رواه البخاري، ومسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه].

٣- التنعّم بظلّ العرش يوم القيامة: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٣٣ رقم (٤٥٠)): أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن أنس رضي الله عنه.

«سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلُّهُ.. ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه.. ». [رواه البخاري، ومسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

٤- اعتلاء المنزلة الرفيعة في الآخرة: قال رسول الله ﷺ: **«إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم؟ لعلنا نحبهم، قال: هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾** [يونس: ٦٢]». [رواه النسائي، وابن حبان، واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه][1].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٣).

ما أعظم هذا الحديث، وما أعظم معانيه ودروسه.

وهكذا فالأخ في الله حريص على أخيه، يتألّم لألمه، ويحزن لحزنه، ويفرح لفرحه.. ومقابل ذلك له الجنة والبركة والنعيم من الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: «**مَن عادَ مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه منادٍ بأن طِبتَ وطابَ ممشاكَ، وتبوّأتَ من الجنة منزلاً**». [رواه الترمذي، وابن ماجه، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه]. [1] [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ / د. محمد بسام يوسف جزاه الله خيرا].

(٢) صحيح الجامع: (٦٣٨٧)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٢٥٧٨).

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ما أعظم وأروع الإسلام من دين يبث في نفوس أتباعه معان إنسانية راقية تعمل على صلاح المجتمع والفرد، ونشر روح المحبة والتآلف بين الناس، والبعد عن الشحناء والبغضاء.

ومن هذه المعاني الراقية ما تمثل في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفي هذه الآية الكريمة دعوة للمؤمنين ليَسموا بأنفسهم

فوق الخلافات، وتذكرهم بأنهم جميعًا أخوة مهما اختلفوا - فيما يسوغ فيه الخلاف - وهي بذلك تشد المؤمن إلى أخيه المؤمن، وتزيد من انتماء الفرد إلى مجتمعه، وتعمق فيه مشاعر التضحية، والبذل، وتنمي فيه روح التعاون والإيثار، وتجعل من المجتمع قوةً متماسكة، يصعب النيل منها.

وفي مثل هذه قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى...**». [متفق عليه].

ويؤكد على هذا المعنى كذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة:٧١]، وبتطبيق هذه الآية يصبح كل أفراد المجتمع أولياء بعض، بكل ما يترتب

على هذه الموالاة من سلوكيات ومسئوليات، فهم من خلال أخوتهم متكافلون وهو ما يجعل الإنسان يشعر بالمسؤولية اتجاه المجتمع وأفراده جميعًا.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات:١٠].

قال الإمام العلامة السّعدي رحمه الله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم، ولهذا قال النبي ﷺ آمرًا بحقوق الأخوة الإيمانية: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد**

الله إخوانًا المؤمن أخو المؤمن، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره»، وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»، وشبك ﷺ بين أصابعه.

ولقد أمر الله ورسوله، بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد، والتواصل بينهم، كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها [وتدابرها]، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شنآنهم.

ثم أمر بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا

والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة.

وفي هاتين الآيتين من الفوائد، غير ما تقدم: أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا، كان من أكبر الكبائر، وأن الإيمان، والأخوة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة، وعلى وجوب الإصلاح، بين المؤمنين بالعدل، وعلى وجوب قتال البغاة، حتى يرجعوا إلى أمر الله، وعلى أنهم لو رجعوا، لغير أمر الله، بأن رجعوا على وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه لا يجوز ذلك، وأن أموالهم معصومة، لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم.

الأخوة الدينية في القرآن الكريم

الأخوة الدينية في القرآن الكريم قسمان:

١ - **أخوة دينية محمودة**: فيها جانب دنيوي وامتداد أخروي، **فمن الأولى**: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة:١١]، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٠]، ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ [البقرة: ١٧٨]. **ومن الثانية**: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾ [الحجر: ٤٧].

٢- **أخوة دينية مذمومة**: فيها كذلك جانب دنيوي وامتداد أخروي، **فمن الأولى**: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي

ﱣﭐﻟۡﻐَﻲِّﱢ [الأعراف: ٢٠٢]، وﱣلِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْﱢ [الحشر: ١١]، ﱣكَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖﱢ [الإسراء: ٢٧]. **ومن الثانية**: ﱣلَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖﱢ [الأعراف: ٣٨].

[استعمالات الأخوة في القرآن / سيد ولد عيسى] .

https://www.alukah.net/sharia//132109/0.

عظم منزلة الصّديق في كتاب الله

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء ١٠٠- ١٠١].

قال العلاّمة الإمام الحافظ ابن عبد البر ﷺ: قال جعفر بن محمد: لقد عظمت منزلة الصّديق حتى عند أهل النار، ألم تسمع إلى قوله الله تعالى حاكيا عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [بهجة المَجالس وأنس المُجالس لابن عبد البر (ص: ١٤٧)].

قَالَ قَتَادَةُ: يَعْلَمُونَ -وَاللهِ -أَنَّ الصَّدِيقَ إِذَا كَانَ صَالِحًا نَفَعَ، وَأَنَّ الْحَمِيمَ إِذَا كَانَ صَالِحًا شَفَعَ. [تفسير ابن جرير وابن كثير -رحمهما الله تعالى-].

وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: «عَلَيْكُمْ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ عُدَّةٌ

الدُّنْيَا وَعُدَّةُ الآخرة، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ أَهْلِ النَّارِ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾». [تفسير القرطبي رحمه الله].

قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ. [تفسير البغوي رحمه الله].

- قال الإمام العلّامة ابن عثيمين رحمه الله: (﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ **الصديق**: من صدَقَك الود؛ يعني: الصاحب الصادق في وُدِّه يسمونه صديقًا، وهو أخص من الصاحب، فكل صديق صاحب، وليس كل صاحب صديقًا.

وأما **الحميم** فإنه القريب، أو أنه يبالغ في الصداقة بحيث يحنو عليك، ثم يحنو القريب. والمؤلف يقول: (أي: يهمه أمرنا)؛ لأن الصديق الحميم الحاني العاطف أو القريب يهمه أمر صاحبه كصديقه). [تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين رحمه الله].

﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ ﴾ [النور: ٦١].

قال العلاّمة المفسّر القرطبي رحمه الله: (قَرَنَ اللهُ عز وجل فِي هَذِهِ الْآيَةِ الصَّدِيقَ بِالْقَرَابَةِ الْمَحْضَةِ الْوَكِيدَةِ، لِأَنَّ قُرْبَ الْمَوَدَّةِ لَصِيقٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي كِتَابِ النَّقَّاشِ: «الصَّدِيقُ أوكد مِنَ الْقَرَابَةِ، أَلَا تَرَى اسْتِغَاثَةَ الْجَهَنَّمِيِّينَ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾»، قُلْتُ: وَلِهَذَا لَا تَجُوزُ عِنْدَنَا شَهَادَةُ الصَّدِيقِ لِصَدِيقِهِ، كَمَا لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الْقَرِيبِ لِقَرِيبِهِ. وَقَدْ

مَضَى بَيَانُ هَذَا وَالْعِلَّةِ فِيهِ فِي [النِّسَاءِ:١١]. وَفِي الْمَثَلِ "أَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أم صديقك" قال: أخي إذا صديقي). [الجامع لأحكام القرآن (سورة النور: ٦١)].

قال الإمام العلاّمة البغوي رحمه الله: (﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ الصَّدِيقُ الَّذِي صَدَقَكَ فِي الْمَوَدَّةِ...

وَكَانَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ يَرَيَانِ دُخُولَ الرَّجُلِ بَيْتَ صَدِيقِهِ وَالتَّحَرُّمَ بِطَعَامِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ مِنْهُ فِي الْأَكْلِ بِهَذِهِ الْآيَةِ. وَالْمَعْنَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ مِنْ مَنَازِلِ هَؤُلَاءِ إِذَا دَخَلْتُمُوهَا وَإِنْ لَمْ يَحْضُرُوا، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَزَوَّدُوا وَتَحْمِلُوا). [معالم التنزيل (سورة النور: ٦١)].

قال العلاّمة الإمام محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله:

(وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ رضي الله عنه: مِن عِظَمِ حُرْمَةِ

الصَّدِيقِ، أنْ جَعَلَهُ اللهُ مِنَ الأُنْسِ والثِّقَةِ والِانْبِساطِ وطَرْحِ الحِشْمَةِ، بِمَنزِلَةِ النَّفْسِ والأبِ والأخِ والِابْنِ.

وعَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما: الصَّدِيقُ أكْبَرُ مِنَ الوالِدَيْنِ. إنَّ الجَهَنَّمِيِّينَ لَمّا اسْتَغاثُوا لَمْ يَسْتَغِيثُوا بِالآباءِ والأُمَّهاتِ. فَقالُوا: ﴿فَما لَنا مِن شافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]، ﴿ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠١]، وقالُوا: إذا دَلَّ ظاهِرُ الحالِ عَلى رِضا المالِكِ، قامَ ذَلِكَ مَقامَ الإذْنِ الصَّرِيحِ. ورُبَّما سَمِجَ الِاسْتِئْذانُ وثَقُلَ. كَمَن قُدِّمَ إلَيْهِ طَعامٌ، فاسْتَأْذَنَ صاحِبَهُ في الأكْلِ مِنهُ. انْتَهى). [محاسن التأويل (سورة النور:٦١)].

قال العلاّمة المفسّر الطاهر بن عاشور رحمه الله: (والصَّدِيقُ: فَعِيلٌ بِمَعْنى فاعِلٍ وهو الصّادِقُ في المَوَدَّةِ. وقَدْ جُعِلَ في مَرْتَبَةِ القَرابَةِ مِمّا هو مَوْقُورٌ في النُّفُوسِ مِن مَحَبَّةِ الصِّلَةِ مَعَ

الأَصْدِقاءِ. وسُئِلَ بَعْضُ الحُكَماءِ: أيُّ الرَّجُلَيْنِ أحَبُّ إلَيْكَ أخُوكَ أمْ صَدِيقُكَ؟ فَقالَ: إنَّما أحَبُّ أخِي إذا كانَ صَدِيقِي). [تفسير التحرير والتنوير (سورة النور: ٦١)].

قال الإمام العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (﴿صَدِيقِكُمْ﴾ دليل على أن للصداقة حقًّا، وهو كذلك، والسبب الصلة التي بينك وبينه). [تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين رحمه الله (سورة النور: ٦١)].

قال العلاّمة الإمام محمود شكري الألوسي رحمه الله: (يُحْكى عَنِ الحَسَنِ أنَّهُ دَخَلَ دارَهُ وإذا حَلْقَةٌ مِن أصْدِقائِهِ وقَدِ اسْتَلُّوا سِلالًا مِن تَحْتِ سَرِيرِهِ فِيها الخَبِيصُ وأطايِبُ الأطْعِمَةِ وهم مُكَبُّونَ عَلَيْها يَأْكُلُونَ فَتَهَلَّلَتْ أسارِيرُ وجْهِهِ سُرُورًا وضَحِكَ وقالَ: هَكَذا وجَدْناهم هَكَذا وجَدْناهم يُرِيدُ كُبَراءَ الصَّحابَةِ ومَن لَقِيَهم مِنَ البَدْرِيِّينَ، وكانَ الرَّجُلُ

مِنهم يَدْخُلُ دارَ صَدِيقِهِ وهو غائِبٌ فَيَسْألُ جارِيَتَهُ كِيسَهُ فَيَأْخُذُ ما شاءَ فَإذا حَضَرَ مَوْلاها فَأخْبَرْتُهُ أعْتَقَها سُرُورًا بِذَلِكَ، وهَذا شَيْءٌ قَدْ كانَ. «**إذا النّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زَمانٌ**» وأمّا اليَوْمَ فَقَدْ طُوِيَ فِيما أعْلَمُ بِساطهُ، واضْمَحَلَّ والأمْرُ لِلَّهِ تَعالى فُسْطاطهُ، وعَفَتْ آثارهُ وأفَلَتْ أقْمارهُ، وصارَ الصَّدِيقُ اسْمًا لِلْعَدُوِّ الَّذِي يُخْفِي عَداوَتَهُ ويَنْتَظِرُ لَكَ حَرْبَ الزَّمانِ وغارَتَهُ، فَآه ثُمَّ آه ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ.

ومِن نَكَدِ الدُّنْيا عَلى الحَرِّ أنْ يَرى
عَدُوًّا لَهُ ما مِن صَداقَتِهِ بُدٌّ).

[روح المعاني (سورة النور: ٦١)].

من هو الصّديق؟

(وَأَمَّا الصَّدِيقُ فَهُوَ الصَّادِقُ فِي وِدَادِكَ الَّذِي يُهِمُّهُ مَا يُهِمُّكَ فَأَعَزُّ مِنْ بِيضِ الْأَنُوقِ..). [تفسير القرطبي ﷺ (سورة الشعراء:١٠١)].

(وَالصَّدِيقُ هُوَ الصَّادِقُ فِي الْمَوَدَّةِ بِشَرْطِ الدِّينِ). [تفسير البغوي ﷺ (سورة الشعراء:١٠١)].

(الصديق من صدَقَك الود؛ يعني: الصاحب الصادق في وُدِّه يسمونه صديقًا، وهو أخص من الصاحب، فكل صديق صاحب، وليس كل صاحب صديقًا). [تفسير ابن عثيمين ﷺ (سورة الشعراء:١٠١)].

الحثّ والحضّ على الأخوّة والمحبّة في اللّه في الأحاديث الصحيحة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (إن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالى إلا لله ولا يعادي إلا لله وأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما أبغضه...). [مجموع الفتاوى(٨ / ٣٣٧)].

سئل الإمام أحمد ﵀ عن الحب في الله؟ فقال ﵀: (هو أن لا تحبه لطمع في دنياه). [طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٥٧)].

يقول الإمام يحيى بن معاذ ﵀: (حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء). [فتح الباري (١/ ٦٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: (من أحب إنسانا لكونه يعطيه فما أحب إلا العطاء، ومن قال: أنه يحب من يعطيه لله، فهذا كذب ومحال وزور من القول، وكذلك من أحب إنسانا لكونه ينصره، إنما أحب النصر لا الناصر، وهذا كله من إتباع ما تهوى الأنفس، فإنه لم يحب في الحقيقة إلا ما يصل إليه من جلب منفعة أو دفع مضرة، فهو إنما أحب تلك المنفعة ودفع المضرة، وإنما أحب ذلك لكونه وسيلة إلى محبوبه، وليس هذا حبا لله ولا لذات المحبوب، وعلى هذا تجرى عامة محبة الخلق بعضهم مع بعض، وهذا لا يثابون عليه في الآخرة ولا ينفعهم، بل ربما أدى ذلك إلى النفاق والمداهنة، فكانوا في الآخرة من الإخلاء الذين بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وإنما

ينفعهم في الآخرة الحب في الله ولله وحده، وأما من يرجو النفع والنصر من شخص ثم يزعم أنه يحبه لله، فهذا من دسائس النفوس ونفاق الأقوال). [مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٠٩)].

لا تؤمنوا حتى تحابّوا..
أثرُ إفشاءِ السّلام في المحبّة

عن الزبير بن العوام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟، أفشوا السلام بينكم**». [رواه مسلم في صحيحه، والترمذي في سننه].

(أي: لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان حتى يحب كل منكم صاحبه). [شرح النووي على مسلم (ج: ١/ ص: ١٤٣)].

(«**أفشوا السلام**»: هو من الإفشاء أي: أظهروه والمراد:

نشر السلام بين الناس ليحيوا سنته ﷺ وحمل النووي الإفشاء على رفع الصوت به والأقرب: حمله على الإكثار). [حاشية السندي على ابن ماجه (ج: ١/ ص: ٦٠)].

(في هذا الحديث العظيم الحث العظيم على إفشاء السلام ، وبذله للمسلمين كلهم؛ من عرفت ومن لم تعرف، والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين. وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: (**ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السّلام للعالم، والإنفاق من**

الإقتار) وبذل السلام للعالم، والسلام على من عرفت ومن لم تعرف، وإفشاء السلام ، كلها بمعنى واحد). [شرح النووي (ج: ١/ ص: ١٤٣)].

حلاوة الإيمان من ثمار وآثار المحبة في الله

عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسـول الله ﷺ: «**ثـلاث من كن فيه وجد بهن حـلاوة الإيمـان أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء ، لا يحبـه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كمـا يكـره أن يقـذف في النـار**». [رواه البخاري، ومسلم في صحيحيهما].

قال العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني ﵀: (قال ابن أبي جمرة: إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى مثلا: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها:

اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها: ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها: عمل الطاعات، وحلاوة الثمر: جني الثمرة، وغاية كماله: تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها.

وقال الشيخ محيي الدين: معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا). [فتح الباري (ج: ٢/ ص: ٥٨)].

قال الإمام العلامة ابن رجب رحمه الله: (فهذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام

والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان إذا سلم من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي). [فتح الباري لابن رجب (١/ ٤٥)].

الأخوّة والمحبّة في اللّه سبب لمحبة اللّه للعبد

عن أبي هريرة ﵁ عنِ النبيِّ ﷺ: «أنَّ رجُلاً زارَ أخـًا لَـهُ في قَرْيةٍ أخْرى، فأرْصَـدَ الله [لـه] على مَدْرَجَتِـه مَلَكـًا، فلمَّـا أتَى عليهِ قال: أيْنَ تريدُ؟ قال: أريدُ أخـًا لـي في هـذه القرَيـةِ، قال: هَلْ لكَ عليه مِنْ نعْمةٍ تَرُبُّها؟ قال: لا؛ غيرَ أنّي أُحِبَّـه في الله، قال: فإنِّي رسولُ الله إليكَ أنَّ الله قدْ أَحبَّـك كما أحْبَبْتَـهُ فيه». [رواه مسلم في صحيحه].

(المدْرَجَةُ) بفتح الميم والراء: هي الطريق.

وقوله: «**ترُبها**»: أي: تقوم بها وتسعى في صلاحها.

قال الإمام الرباني النووي ﵀: (في هـذا الحـديث فضـل المحبـة في الله تعـالى وأنهـا سـبب لحـب الله تعـالى العبـد).

[الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٢٤)].

المتحابّون في اللّه
في ظل عرش اللّه يوم لا ظل إلا ظلّه

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - ﷻ - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي». [رواه مسلم في صحيحه].

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد (إذا خرج منه حتى يعود إليه) ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه». [رواه البخاري،

ومسلم في صحيحيهما].

(إضافة الظل إلى الله إضافة تشريف، ليحصل امتياز هذا على غيره، كما قيل للكعبة: بيت الله مع أن المساجد كلها ملكه. والمراد: ظل عرشه، ويدل عليه حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن: «**سبعة يظلهم الله في ظل عرشه**» فذكر الحديث). [فتح الباري (٢/ ٤٨٥)].

(اجتمعا عليه وتفرقا عليه: المراد أنهما داما على المحبة الدينية ، ولم يقطعاها بعارض دنيوي سواء اجتمعا حقيقة أم لا حتى فرق بينهما الموت). [فتح الباري (ج: ٢/ ص: ٤٨٥)].

قال الإمام الرباني النووي رحمه الله: (وفي هذا الحديث الحث على التحاب في الله، وبيان عظم فضله وهو من المهمات، فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان).

[الشرح على صحيح مسلم (٧ / ١٢١)].

المتحابّون في اللّه يغبطهم الأنبياء والشهداء

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ عبادِ الله عباداً لَيْسوا بأنْبِياءَ، يَغْبِطُهم الأنْبِياءُ والشُهَداءُ. قيل: مَنْ هُمْ؟ لَعلَّنا نُحِبُّهم؛ قال: هُمْ قومٌ تَحابُّوا بِنُورِ الله، مِنْ غيرِ أرْحامٍ ولا أَنْسابٍ، وجوهُهُم نُورٌ، على منابِرَ مِنْ نُورٍ، لا يخافُونَ إذا خافَ الناسُ، ولا يَحْزَنونَ إذا حَزِنَ الناسُ، ثمَّ قَرأَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾». [رواه النسائي، وابن حبان؛ صحيح الترغيب: ٣٠٢٣].

قال العلاّمة الإمام أبو العلا المباركفوري ﵀: (قوله: «المتحابون في جلالي» أي لأجل إجلالي وتعظيمي

«**يغبطهم النبيون والشهداء**» قال القاري: بكسر الموحدة من الغبطة بالكسر، وهي تمني نعمة على ألا تتحول عن صاحبها، بخلاف الحسد فإنه تمني زوالها عن صاحبها فالغبطة في الحقيقة عبارة عن حسن الحال كذا قيل. وفي القاموس: الغبطة حسن الحال والمسرة، فمعناها الحقيقي مطابق للمعنى اللغو، فمعنى الحديث يستحسن أحوالهم الأنبياء والشهداء. قال: وبهذا يزول الإشكال الذي تحير فيه العلماء. وقال القاضي: كل ما يتحلى به الإنسان أو يتعاطاه من علم وعمل، فإن له عند الله منزلة لا يشاركه فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك وإن كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدرا وأعز ذخرا، فيغبطه بأن يتمنى ويحب أن يكون له مثل ذلك مفهوما إلى ما له من المراتب الرفيعة أو

المنازل الشريفة، وذلك معنى قوله: يغبطهم النبيون والشهداء، فإن الأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك من دعوة الخلق وإظهار الحق وإعلاء الدين وإرشاد العامة والخاصة، إلى غير ذلك من كليات أشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات والقيام بحقوقها، والشهداء وإن نالوا رتبة الشهادة وفازوا بالفوز الأكبر، فلعلهم لن يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء، فإذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله، ودّوا لو كانوا ضامين خصالهم فيكونون جامعين بين الحسنتين وفائزين بالمرتبتين. وقيل: إنه لم يقصد في ذلك إلى إثبات الغبطة لهم على هؤلاء بل بيان فضلهم وعلو شأنهم وارتفاع مكانهم وتقريرها على آكد وجه وأبلغه.

والمعنى أن حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ مع جلالة قدرهم ونباهة أمرهم حال غيرهم لغبطوهم). [تحفة الأحوذي (٦/ ٢٥٩)].

وَجَبت وحقّت محبّة اللّه للمتحابين في اللّه

عن أبي إدريس الخولاني قال: دخلْتُ مسجدَ (دِمشْقَ) فإذا فَتىً بَرَّاقُ الثنايَا وإذا الناسُ مَعُه، فإذا اخْتَلَفوا في شَيْءٍ أسْنَدوهُ إليه، وصَدروا عَنْ رأْيِهِ، فسأَلْتُ عنه؟ فقيلَ: هذا مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ، فلمَّا كانَ مِنَ الغَدِ هَجَّرتُ، فوَجَدْتُه قد سَبَقني بالتَهْجيرِ ووجدْتُه يُصلِّي، فانْتَظَرْتُه حتى قَضى صلاتَه، ثُمَّ جِئْتُه مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فسلَّمْتُ عليه، ثُمَّ قلْتُ لَهُ: واللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ لله، فقال: آلله؟ فقلتُ: الله، فقال: آلله؟ فقلتُ: الله، فأَخَذَ بِحَبْوَةِ رِدائي فجذَبَني إليه فقال: أَبْشِرْ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**قال الله ﷻ: وجَبتْ** مَحبَّتي لِلْمُتحابِّينَ فِيَّ، وللمُتجالِسينَ فِيَّ، وللمُتَزارينَ فِيَّ،

وللمتبـاذِلين فيَّ». [رواه مالـك، وأحمـد، وغيرهمـا. صـحيح الترغيب ٣٠١٨].

الأخوّة والمحبّة في اللّه من أوثقِ عُرَى الإيمان

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: «**أي عرى الإيمان أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**». [رواه أحمد، والحاكم، والطبراني في المعجم الكبير، السلسلة الصحيحة: (٩٩٨، ١٧٢٨)].

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله وأنكح لله فقد استكمل الإيمان**». [رواه أبو داود، والترمذي صحيح الجامع: ٥٩٦٥، والصحيحة: ٣٨٠، وصحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٢٨].

أفضلُ وخيرُ الأصحابِ عند اللّه خيرهم وأحبّهم لصاحبه

عـن أنـسِ بْـنِ مالـكٍ ﵁ قـال: قـالَ رسـولُ الله ﷺ: «**ما تَحـابَّ رجـلانِ في الله إلا كـانَ أحبَّهمـا إلـى الله ﷻ أشَـدَّهما حبّـًا لِصـاحِبِه**». [رواه الطـبراني، وأبـو يعلـى، ورواه ابـن حبـان، والحاكم؛ إلا أنَّهما قالا: «**كـانَ أفْضَـلَهُما أشَـدَّهما حُبّـًا لِصاحِبِه**». صحيح الترغيب: ٣٠١٤].

عـن عبـد الله بـن عمـروٍ ﵄ قـال: قـال رسـولُ الله ﷺ: «**خيرُ الأصْحابِ عنـدَ الله خيـرُهُم لِصـاحِبِه، وخيـرُ الجيـرانِ عندَ الله خيـرُهم لِجـاره**». [رواه الترمـذي وحسنه، وابـن خزيمـة وابن حبان، والحاكم، صحيح الترغيب: ٣٠١٥].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه يرفعه قال: «**ما مِنْ رجُلَيْنِ تحابَّا في الله بظَهْرِ الغَيْبِ إلا كانَ أحبَّهُما إلى الله أشدُّهما حُبّاً لِصَاحِبِه**». [رواه الطبراني في الأوسط صحيح الترغيب: ٣٠١٦].

أنت مع من أحببت وإن لم تلحق بهم ولم تعمل بمثل أعمالهم

عـن أنـس ﵁ قـال: «أَنَّ رَجُـلًا سَـأَلَ النبـي ﷺ عـن السَّـاعَةِ؟ فقـال: مَتَـى السَّـاعَةُ؟ قـال: «**وَمَـاذَا أَعْـدَدْتَ لهـا؟**» قال: لَا شَيْءَ، إلا أَنِّـي أُحِـبُّ اللهَ وَرَسُـولَهُ ﷺ، فقـال: «**أنـت مع من أَحْبَبْت**»». فقال أنس ﵁: «فما فَرِحْنَـا بِشَـيْءٍ فَرَحَنَـا بقول النبي ﷺ أنت مـع مـن أَحْبَبْـتَ، فَأَنَـا أُحِـبُّ النبـي ﷺ، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بِحُبِّي إيَّـاهم وإِن لـم أعمل بمثل أعمالهم». [رواه البخاري، ومسلم].

عن عبد الله بن مسعود ﵁ قـال: «جاء رجـل إلـى النَّبـي ﷺ فقال: يـا رسـول الله، كيـف تقـول في رجـل أحـبَّ قومًـا،

ولم يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ: «**المرءُ مع من أحبَّ**».

[رواه البخاري ومسلم].

يقول العلامة ابن بطال رحمه الله: (فدل هذا أن من أحب عبدًا في الله، فإن الله جامع بينه وبينه في جنته، ومُدخِلَه مُدخَلَه وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: «**ولم يلحق بهم**» يعني في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى- والله أعلم- أنه لما كان المحب للصالحين وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملا من أعمال القلوب واعتقادًا لها أثاب الله معتقدًا ذلك ثواب الصالحين، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء).

[شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٣٣٣)].

لا تصاحب إلا مؤمناً فالمرءُ على دينِ خليلِهِ

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**». [رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، صحيح الجامع: ٣٥٤٥، الصحيحة: ٩٢٧].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**». [رواه أحمد وأبو داود، صحيح الجامع: ٧٣٤١، صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٣٦].

قال العلامة الخطابي ﷺ: (إنما جاء هذا في طعام الدعوة، دون طعام الحاجة، وذلك أن الله سبحانه قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨]، ومعلوم أن أسراءهم كانوا كفارا، غير مؤمنين

ولا أتقياء. وإنما حذر ﷺ من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته، فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب). [عون المعبود (ج: ١٠/ ص: ٣٥٢)].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده، أصابك من دخانه**». وفي رواية: «**إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة**». [رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود].

«**يحذيك**»: أي: **يعطيك**، وزنا ومعنى. [فتح الباري (ج: ١٥/ ص: ٤٨٥)].

«**الكير**»: قربة من جلد أو نحوه يستخدمها الحداد وغيره للنفخ في النار لإذكائها.

إعلام وإخبار الرجل أخاه أنه يحبّه في اللّه سنةٌ وأمرٌ نبويّ

عن المقدام بن معد يكرب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب أحدكم أخاه، فليعلمه أنه يحبه**». [رواه أبو داود، والترمذي، صحيح الجامع: ٢٧٩، والصحيحة: ٤١٧].

عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب أحدكم صاحبه، فليأته في منزله، فليخبره أنه يحبه لله ﷻ**». [رواه أحمد، صحيح الجامع: ٢٨١، والصحيحة: ٧٩٧].

عن أنس بن مالك ﵁ قال: «مرّ رجل بالنبي ﷺ وعند النبي ﷺ رجل جالس - فقال الرجل: والله يا رسول الله إني لأحب هذا في الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبرته بذلك؟**»، قال: لا، قال: «**قم فأخبره، تثبت المودة بينكما**»، فقام إليه

فأخبره، فقال: إني أحبك في الله، فقال الرجل: أحبك الذي أحببتني فيه». [رواه أحمد، وأبو داود، الصحيحة: ٤١٧، صحيح موارد الظمآن: ٢١٣١].

عن مجاهد قال: حدثت أن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب أحدكم أخاه في الله، فليعلمه، فإنه أبقى في الألفة، وأثبت في المودة**». [أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص١٢٠، رقم ٦٩)، صحيح الجامع: ٢٨٠، الصحيحة: ١١٩٩].

يقول العلاّمة الإمام الشوكاني رحمه الله: (وفيه -أي الحديث- مشروعية الإعلام بالحب لأن في ذلك بعثا على الوداد من الجانب الآخر وبه يكون التراحم والتعاطف وينبغي أن يكون الجواب كما تضمنه الحديث ومن أحبه الله سبحانه وتعالى فقد فاز). [تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني (ص: ٢٨٩)].

الذنوب سببٌ لتنافر القلوب

عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تواد اثنان في الله أو في الإسلام، فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما**». [رواه البخاري في الأدب المفرد ٤٠١، الصحيحة: ٦٣٧].

يقول الإمام المزني ﵀: (إذا وجدت من إخوانك جفاء فتب إلى الله فإنك أحدثت ذنبا وإذا وجدت منهم زيادة ود فذلك لطاعة أحدثتها فاشكر الله تعالى). [فيض القدير للمناوي (٥/ ٤٣٨)].

الأخوة الإيمانية لا تنتفي ولا تنتقض بالمعصية والمخالفة مهما كانت.. ما دامت دون الكفر...

هذا ما قرره علماء وأئمة الإسلام.. كما سيأتي في كلام الإمام العلامة الفقيه ابن عثيمين ﵀..

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ [الحجرات: ٩].

قال العلامة الإمام ابن عثيمين ﵀: (فلم يخرج الله الطائفتين المقتتلتين من الإيمان، ولا من الإخوة الإيمانية).

قال العلامة الإمام الفقيه ابن عثيمين ﵀: (هجر المسلم في الأصل حرام، بل من كبائر الذنوب إذا زاد على ثلاثة أيام، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يحل لمسلم**

أن يهجر أخاه فوق ثلاثة، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». [متفق عليه].

وروى أبو داود والنسائي بإسناده قال المنذري: إنه على شرط البخاري ومسلم: «**فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**».

ومن المعلوم أن المسلم لا يخرج عن الإسلام بالمعاصي وإن عظمت، ما لم تكن كفرا، وعلى هذا فلا يحل هجر أصحاب المعاصي، إلا أن يكون في هجرهم مصلحة بإقلاعهم عنها، وردع غيرهم عنها؛ **لأن المسلم العاصي ولو كانت معصيته كبيرة أخ لك**؛ فيدخل في قوله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث...**».

ومن الأدلة على أن العاصي أخ للمطيع، وإن عظمت معصيته قوله تعالى فيمن قتل مؤمنا عمدا: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ

﴿مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:١٧٨]. **فجعل الله القاتل عمدا أخا للمقتول**، مع أن القتل – قتل المؤمن عمدا- من أعظم الكبائر، وقوله تعالى في الطائفتين المقتتلتين من المؤمنين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾. **فلم يخرج الله الطائفتين المقتتلتين من الإيمان، ولا من الأخوة الإيمانية.**

أما اليوم، فإن كثيرا من أهل المعاصي لا يزيدهم الهجر إلا مكابرة وتماديا في معصيتهم، **ونفورا وتنفيرا عن أهل العلم والإيمان**؛ فلا يكون في هجرهم فائدة لهم ولا لغيرهم.

وعلى هذا فنقول: إن الهجر دواء يستعمل حيث كان فيه الشفاء، وأما إذا لم يكن فيه شفاء أو كان فيه إشفاء،

وهو الهلاك فلا يستعمل.

فأحوال الهجر ثلاث:

١- إما أن تترجح مصلحته فيكون مطلوبا.

٢- وإما أن تترجح مفسدته فينهى عنه بلا شك.

٣- وإما أن لا يترجح هذا ولا هذا، فالأقرب النهي عنه، لعموم قول النبي ﷺ: «**لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة**».

... وأما الكفار غير المرتدين فلهم حق القرابة إن كانوا من ذوي القربى، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، وقال في الأبوين الكافرين المشركين: ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾). [مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين / رقم السؤال ٣٥٨].

المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك

من كنوز شيخ الإسلام وإمام الأئمة الأعلام ابن تيمية ﷺ: (**المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك**).

هذا في الموالاة والمعاداة القلبية، أما المعاملة العملية فالواجب مراعاة المصالح والمفاسد والعواقب والمآلات...

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه. **فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية**. قال

تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [سورة الحجرات: ٩].

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن: **أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك** فإن الله سبحانه بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام والثواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه).

وقال ﵀: (وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة

والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللص تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم). [مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٨ - ٢٠٩].

الله أكبر ما أعظم عدل وحكمة ورحمة الإسلام وعلماء وعظماء الإسلام...

وصدق وبر شيخ الإسلام ابن تيمية حين وصف أهل السنة بأنهم: **أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق...**

أهمُّ وآكدُ حقوق المسلم على أخيه المسلم

▪ عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «حق المسلم على المسلم ست قيل: ما هن يا رسول الله؟، قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه».

▪ قال سماحة الإمام العلاّمة ابن باز ﵀: (المسلم له حقوق على أخيه المسلم كثيرة، قد دل عليها كتاب الله الكريم، وجاءت بها سنة النبي الأمين ﵊، ومن الحق

عليك أيها المسلم أن تعرف ما عليك من الحقوق لإخوانك المسلمين حتى تؤديها بإخلاص ورغبة بما عند الله ﷻ، وحتى تؤديها بنصح ونفس طيبة، وحتى تؤديها بأمانة، هكذا المسلم يجاهد نفسه لله، ويؤدي ما عليه من الحقوق لله ولعباده.

والرسول ﷺ أبان الحقوق التي على المسلم لأخيه وشرحها شرحًا جليًّا في أحاديث كثيرة، ودل كتاب الله العزيز وهو القرآن الكريم على حقوق كثيرة للمسلم على أخيه في آيات كثيرات من كتاب الله ﷻ، وأنا أذكر لك حديثا واحدا في هذه الفترة قد اشتمل على ستة حقوق من أهم الحقوق وآكدها، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن النبي ﷺ

قال: «للمسلم على المسلم ست خصال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»، هكذا أخبر النبي ﷺ عن هذه الحقوق الستة.

وقد عرفت سابقا أن للمسلم على أخيه حقوقًا كثيرة لا تحصى بهذه الستة، ولكن الرسول ﷺ ذكر هذه الستة للتنبيه على عظم شأنها، وكثرة منافعها، وحسن عاقبتها، وإلا فأنت يا أخي عليك حقوق كثيرة لأخيك المسلم ينبغي لك أن تعرفها، وينبغي لك أن تؤديها.

فمن ذلك ما جاء به الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، هذا حديث جامع من جوامع الكلم، يدل على أن

عليك لأخيك أن تحب له الخير وتكره له الشر دائما، دائما في الشدة والرخاء، في مغيبه وفي مشهده، مع العداوة ومع المحبة، عليك أن تحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك من الخير، وعليك أن تكره له من الشر ما تكرهه لنفسك، فكما تحب لنفسك العلم النافع والصحة والغنى والستر تحبه لأخيك، وكما تحب لنفسك الزوجة الصالحة والأولاد الصالحين تحب ذلك لأخيك، وهكذا.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه المؤمن»، فأنت مرآة لأخيك وهو مرآة لك، إذا رأيت شيئا يشينه نبهته برفق وحكمة وإظهار المودة والنصح حتى يزيل ذلك الشيء الذي يشينه وينقصه، وهو كذلك إذا رأى فيك ما يشينك نبهك بلطف ورفق ومحبة وعدم عنف حتى

تزيل ما يشينك وما يقدح فيك من أخلاق وأعمال، فهذا كله من معنى الحديث: المؤمن مرآة أخيه المؤمن لا ترى العيب في أخيك وتسكت، ولا يراه ويسكت، ولكن كل واحد ينبه أخاه مع الرفق، ومع الحكمة، ومع النصح، وعدم الغلظة والعنف، ولاسيما في السر، فإن السر أنفع.

فالمناصحة والبيان والإيضاح لأخيك سرا بينك وبينه من أعظم الأسباب في نجاح المقصد وحصول المطلب.

وقال ﷺ في حديث آخر: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، وشبك بين أصابعه، المعنى أن المسلمين فيما بينهم بناء واحد، يمسك بعضه بعضا ويشد بعضه بعضا، فأنت تألم لأخيك وهو يألم لك، وتسر لأخيك وهو يسر لك، تعينه ويعينك، ترشده ويرشدك،

تشفع له في الخير ويشفع لك، هكذا المؤمن مع أخيه، فالحقوق لأخيك كثيرة جدا، ولكن منها هذه الست ....).

[https://cutt.us/ioFWG].

▪ قال الإمام العلاّمة الشوكاني ﵀: (والمراد بقوله: «حق المسلم» أنه لا ينبغي تركه ويكون فعله إما واجبا أو مندوبا ندبا مؤكدا شبيها بالواجب الذي لا ينبغي تركه، ويكون استعماله في المعنيين من باب استعمال المشترك في معنييه، فإن الحق يستعمل في معنى الواجب، كذا ذكره ابن الأعرابي، وكذا يستعمل في معنى الثابت ومعنى اللازم ومعنى الصدق وغير ذلك وقال ابن بطال: المراد بالحق هنا الحرمة والصحبة). [نيل الأوطار (٤/ ٢١)].

▪ قال العلاّمة الحافظ ابن حجر ﵀: (وقد تبين أن معنى: «الحق» هنا الوجوب خلافا لقول ابن بطال: المراد

حق الحرمة والصحبة، والظاهر أن المراد به هنا وجوب الكفاية). [فتح الباري (٣/ ١١٣)].

▪ قال الإمام العلاّمة ابن عثيمين ﵀: (فهذه الحقوق التي بيَّنها النَّبيُّ ﷺ كلَّها إذا قام بها النَّاس بعضهم مع بعض، حَصل بذلك الأُلْفَة والمودَّة، وزال ما في القلوب والنُّفوس مِن الضَّغائن والأحقاد). [شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٠٦)].

حقوق الأخوة والصحبة[١]

(اعلم أن لأخيك عليك حقا في المال، وفي الإعانة بالنفس، وفي اللسان والقلب، وفي العفو، وفي الدعاء، وفي الوفاء والإخلاص، وفي التخفيف، وفي ترك التكلف والتكليف وذلك يجعلها ثماني جمل.

الحق الأول: في المال: روي أن مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وذلك لأنهما يتعاونان على غرض واحد، وكذلك الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا

(١) من كتاب «**موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**» للإمام العلاّمة محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله.

في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء، والمشاركة في المآل والحال، وارتفاع الاختصاص والاستئثار.

والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب:

أدناها: أن تنزله منزلة خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال.

والثالثة: هي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى رتبة

المتحابين، ومنتهى هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا.

فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن، وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مهران: من رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور.

ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه: لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين.

وفي الصفاء في الأخوة الانبساط في بيوت الإخوان كما كان عليه كثير من السلف، وقد قال تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور:٦١].

وقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور: ٦١]، إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف كما يريد، وكان يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء.

الحق الثاني: في الإعانة بالنفس: وذلك في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة، وهذه أيضا لها درجات فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة، قال بعضهم: وإذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسي، فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦].

وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم يتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منهم ما لم يروا من أبيه في حياته.

وكان أحدهم يتردد إلى باب دار أخيه يقوم بحاجته من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة.

والأخوة إذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها.

وقال ميمون بن مهران: من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته.

وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك، وأن تكون متفقدا لأوقات الحاجة غير

غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال إلى الاستعانة، ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبول سعيك في حقه وقيامك بأمره.

وقال عطاء: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكروهم.

وقال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له. وقد قال تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، إشارة إلى الشفقة والإكرام. ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور في مسرة دونه، بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه.

الحق الثالث: في اللسان: وذلك بالسكوت مرة وبالنطق أخرى.

أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه، وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله، وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأل، فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه، وليسكت عن أسراره التي بثها ولا يبثها إلى غيره البتة ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن، وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه،

فإن الذي سبّك من بلّغك، ولا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه فإن السرور أولا به يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل، وإخفاء ذلك من الحسد.

وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت، فإذ ذاك لا يبالي بكراهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر، أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران:

أحدهما: أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك

عاجز عما أنت مبتلى به، ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة، فأي الرجال المهذب.

والأمر الثاني: أن تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوئ، فإذا غلبت المحاسن المساوئ فهو الغاية والمنتهى، فالمؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام. وأما المنافق اللئيم فإنه أبدا يلاحظ المساوئ والعيوب.

قال ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات.

وقال الفضيل: الفتوة العفو عن زلات الإخوان.

بحث سوء الظن:

وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن، فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا، وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن يحمل على وجه خير، فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فاحمله على سهو ونسيان إن أمكن، وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس وقد قال ﷺ: «**لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا**». والتجسس في تطلع الأخبار، والتحسس بالمراقبة بالعين، فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين.

واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب

لنفسه، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به، ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين وهو الحقد والحسد، ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمر مخطر، وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله.

ومن ذلك: أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه، وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإن أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن، هذه حقيقة الأخوة، وقد قال ﷺ: «وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَة». وقال

ﷺ: «**إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة**». وقال ﷺ: «**المجالس بالأمانة**». وفي رواية: «**إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره**».

قيل لبعضهم: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره فإن صدور الأحرار قبور الأسرار.

وأفشى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له حفظت فقال: بل نسيت.

وقال العباس لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل- يعني عمر رضي الله عنه- يقدمك على الأشياخ فاحفظ مني خمسا: لا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يجربن عليك كذبا، ولا تعصين له أمرا، ولا يطلعن منك على خيانة،

فقال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف.

ومن ذلك: السكوت على المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك...».

وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمناقشة فإنها عين التدابر والتقاطع، فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان، وقال ﷺ: «**لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا**»، وقد قال ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التَّقْوى هاهُنا ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرّاتٍ بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ**».

وأشد الاحتقار المماراة، فإن من رد على غيره كلاما فقد نسبه إلى الجهل أو الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش...

وقال بعض السلف: من لاحظ الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته.

وقال غيره: إياك ومماراة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم.

قال الحسن: لا تشترى عداوة رجل بمودة ألف رجل.

وعلى الجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل، واحتقار المردود عليه بإظهار جهله، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل، ولا معنى للمعاداة إلا هذا، فكيف تضام

الأخوة والمصافاة...

قال ﷺ: «**إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق**».

والمماراة مضادة لحسن الخلق.

واعلم أن قوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة.

الحق الرابع: على اللسان بالنطق: الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضا النطق بالمحاب، بل هو أخص بالأخوة، لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور، وإنما يراد الأخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم، والسكوت معناه كف الأذى، فعليه أن يتودد إليه بلسانه، ويتفقده في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها،

كالسؤال عن عارض إن عرض، وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه، وكذا جملة أحواله التي يكرهها، ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها، وجملة أحواله التي يسر بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها، فمعنى الأخوة المساهمة في السراء والضراء، وقد قال عليه السلام: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره**»، وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب، فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف، والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع، ومحبوب في الدين، ولذلك علم النبي صلى الله عليه وسلم فيه الطريق فقال: «**تهادوا تحابوا**».

ومن ذلك: أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته

وحضوره، قال عمر رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته أولا، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

ومن ذلك: أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى عقله وخلقه وهيئته وخطه وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط، ولكن تحسين ما يقبل التحسين لابد منه. وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح، فإن إخفاء ذلك محض الحسد.

ومن ذلك: أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك، وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب

المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض، فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة، وتبكيت المتعنت، وتغليظ القول عليه، والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب، وتقصير في حق الأخوة، وإهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه، فأَخْسِس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك، وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم، ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢].

فإذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الأخوة، قال بعضهم: ما ذكر أخ لي بغيب

إلا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمع لو حضر.

ومن ذلك: التعليم والنصيحة، فليس حاجة أخيه إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال، فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا، فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه، وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه، وتنبهه على عيوبه، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد، فما كان على الملأ فهو فضيحة، وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة، قال ذو النون: **لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة.**

ولا تظنن أن في نصح أخيك إيحاشا لقلبه، فإن في تنبيهه على ما لا يعلمه عين الشفقة، وهو استمالة القلوب - أعني قلوب العقلاء -، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم، فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها، كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك، والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات، فإنها تلدغ القلوب والأرواح، وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد، وهي مخلوقة من نار الله الموقدة، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول: رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه.

ومن كتاب بعض السلف لأخيه: اعلم أن من قرأ القرآن

وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين.

وقد وصف الله الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾ [الأعراف: ٧٩].

وهذا في عيب هو غافل عنه، فأما ما يظهره فلابد من التلطف بنصحه بالتعريض مرة والتصريح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإيحاش، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه.

أما ما يتعلق بتقصيره في حقك؛ فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه، والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة، والتعريض

بـه خيـر مـن التصـريح، والمكاتبـة خيـر مـن المشـافهة والاحتمال خير من الكل.

الحـق الخـامس: العفـو عـن الـزلات والهفـوات: هفـوة الصديق إن كانت في دينه فلابد مـن التلطف في نصـحه كمـا قدمنا، فإن أصر فمن السلف من رأى مقاطعته، ومـنهم مـن رأى إدامة حق مودته وبغـض عمله، وأمـا زلتـه في حقـه بمـا يوجب إيحاشه، فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال، بل كان ما يحتمل تنزيلـه علـى وجـه حسـن ويتصـور تمهيـد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحـق الأخـوة، فقـد قيـل: ينبغـي أن تسـتنبط لزلـة أخيـك سـبعين عـذرا، فـإن لـم يقبلـه قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك: ما أقسـاك يعتـذر إليـك أخـوك سـبعين عـذرا فـلا تقبلـه، فأنـت المعيـب لا

أخوك، وقال الأحنف: حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة. ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره، فالمؤمن إن غضب فهو سريع الرضاء. وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقيعة قال تعالى:﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾ [الممتحنة: ٧]، وقال عمر ﵁: «لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا. وهو أن تحب تلف صاحبك».

الدالة: (يعني: الدلال).

الحق السادس: الدعاء للأخ: فتدعو له في حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به كما تدعو لنفسك، وفي الحديث: «**إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر**

الغيب قال الملك: ولك مثل ذلك».

وفي حديث آخر: «**دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد»**.

وكان أبو الدرداء يقول: «إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم»، وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت إليه يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

وعن بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء.

الحق السابع: الوفاء والإخلاص: ومعنى الوفاء: الثبات

على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي، وروي أنه ﷺ أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال: «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين**».

فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر لدلالته على قوة الشفقة والحب.

ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا، وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته، وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي

صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الحشر: ٩]، ووجود الحاجة هو الحسد.

ومن الوفاء: أن لا يتغير حاله في التواصل مع أخيه، وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه، والترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم قال الشاعر:

إن الكـــرام إذا مـــا أيســـروا ذكـــروا
مــن كـــان يـــألفهم بـــالمنزل الخشـــن

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين، بل من الوفاء له المخالفة والنصح لله.

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة، نَفُور الطبع عن أسبابها كما قيل:

وجدت مصيبات الزمان جميعها

سوى فرقة الأحباب هينة الخطب وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلي أن حسرتهم ذهبت من قلبي.

ومن الوفاء: أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه.

ومن الوفاء: أن لا يصادق عدو صديقه، قال الشافعي رحمه الله: (إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك).

الحق الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف: وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه، بل يروح سرّه من مهماته وحاجاته، ويرفهه على أن يحمله شيئا من أعبائه، فلا يكلفه القيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى، استعانة به على دينه، واستئناسا بلقائه، وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته.

قال بعضهم: من اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتبعهم، ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم، وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي منه نفسه.

وقال علي رضي الله عنه: شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار.

وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه.

وكان جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه يقول: أثقل إخواني علي من يتكلف وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي.

ومن التخفيف وترك التكلف: أن لا يعترض في نوافل العبادات، كان طائفة من الصوفية يصطحبون على أن أحدهم إن أكل النهار كله لم يقل له صاحبه: صم، وإن صام الدهر كله لم يقل له: أفطر، وإن نام الليل كله لم يقل له: قم، وإن صلى الليل كله لم يقل له: نم، وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان.

وقد قيل: من سقطت كلفته دامت ألفته، ومن خفت مؤنته دامت مودته.

وقال بعضهم: إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به: إذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام، فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال: بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه، لأن البيت يتخذ للاستخفاء

في هــذه الأمــور الخمــس، وإلا فالمســاجد أروح لصــلاة المتعبدين، فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط.

وقـول العـرب في تسـليمهم يشـير إلـى ذلـك، إذ يقـول أحـدهم لصـاحبه: مرحبـا أهـلا وسـهلا، أي لـك عنـدنا مرحب، وهو السعة في القلـب والمكـان، ولـك عنـدنا أهـل تأنس بهم بلا وحشـة لـك منـا، ولـك عنـدنا سـهولة في ذلـك كله، أي لا يشتد علينا شيء مما تريد.

ولا يتم التخفيف وترك التكلف، إلا بأن يـرى نفسـه دون إخوانه، ويحسن الظن بهـم، ويسـيء الظـن بنفسـه، ولا خيـر في صـحبة مـن لا يـرى لـك مثـل مـا تـرى لـه، فهـذه أقـل الـدرجات وهـو النظـر بعـين المسـاواة، والكمـال في رؤيـة

الفضل للأخ، ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه، وهذا في عموم المسلمين مذموم، قال ﷺ: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**».

ومن تتمة الانبساط وترك التكلف، أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده، ويقبل إشارتهم فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فهذا جامع حقوق الصحبة، ولا يتم ذلك إلا بأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتُقَيد بحقوقهم جميع جوارحك.

أما البصر: فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك، وتنظر إلى محاسنهم، وتتعامى عن عيوبهم، ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك، روي أن رسول الله ﷺ كان يعطي كل من جلس إليه نصيبا من

وجهه لا يظن جليسه إلا أنه أكرم الناس عليه، وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما يحدثونه.

وأما السمع: فبأن تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به، ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض، فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم.

وأما اللسان: فقد ذكرنا حقوقه، ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم، ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون.

وأما اليدان: فأن لا يقبضهما عن معاونتهم في كل ما يتعاطى باليد.

وأما بالرجلان: فبأن لا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا

يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه، ويقوم لهم إذا أقبلوا، ولا يقعد إلا بقعودهم، ويقعد متواضعا حيث يقعد). [موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص:١٣٠- ١٣٩)].

فوائد وفرائد مختارة من محاضرة قيّمة للعلامة المتقن والمتفنن صالح آل الشيخ حفظه الله

الحق الأول من تلك الحقوق؛ حقوق الأخوّة، أن يُحبّ أخاه لله لا لغرض من الدنيا؛ وهو الإخلاص في هذه العبودية...

الحق الثاني من هذه الحقوق أن يقدّم الأخ لأخيه الإعانة بالمال وبالنفس...

الحق الثالث من حقوق الأخوّة حفظ العِرض، وهو حق عظيم من الحقوق...

الحق الرابع من الحقوق أن تُجنِّب أخاك سوء الظن به لأن سوء الظن به مخالف لما تقتضيه الأخوة...

الحق الخامس من حقوق الأخوّة أن تتجنّب مع

إخوانك المراء والممارات فإن المراء مُذْهِبٌ للمحبة، ومُذْهِبٌ للصداقة...

الحق السادس من حقوق الأخوة بذل اللسان لأخيك؛ اللسان كما أنه في حفظ العرض كففت اللسان عن أخيك، فهنا من الحقوق أن تبذل اللسان له...

الحق السابع من حقوق الأخوة العفو عن الزَّلات، وهذا باب واسع، باب عظيم...

الحق الثامن من حقوق الأخوة الفرح بما آتاه الله ﷻ، فرح الأخ لأخيه بما آتاه الله ﷻ...

الحق التاسع أن يكون بينك وبين إخوانك تعاون في الخير والصلاح...

الحق العاشر والأخير أن يكون بين أصحاب الأخوة الخاصة تشاور وتآلف فيما بينهم...

حق الأخوة من المقامات التي أُكّدت بنصوص الكتاب والسنة

هذا المقام وهو حق الأخوّة؛ حق الصحبة؛ حق الأخ على أخيه، من المقامات العظيمة التي أُكّدت بالنصوص؛ وأُكّدت في الكتاب والسنة، فرعايتها رعاية للعبودية، وإهمالها إهمال لنوع من أنواع العبودية؛ لأن حقيقة العبادة: **أنها اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**.

من الأقوال والأعمال التي يرضاها الله ﷻ ويحبها، ما أمر به من أداء حق الأخ على أخيه، وخاصة إذا كان ذلك الأخ قد قامت بينه وبين أخيه مودّة خاصة، ومحبة خاصة،

واقتران خاص، فاق أن يكون لمجرد أنه من إخوانه المسلمين، فثَم حق للمسلم على المسلم للأخ على أخيه من جهة أنه مسلم، ويتأكد ذلك الحق ويزداد إذا كان بين هذا المسلم وبين أخيه المسلم أخوّة خاصة، ومحبة خاصة، ترافقا وتحابا وتشاركا في المحبة في الله وفي طاعة الله، وبعضهم دلّ بعضا إلى الخير، وهداه إلى الهدى وقربه إلى ربّه ﷻ، فثَم حقوق بين هذا وهذا، وهذه الحقوق ينبغي أن يرعاها الأخ المسلم...

قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والله ﷻ لما امتن على عباده المؤمنين بأنه ألّف بين قلوبهم وجعلهم بنعمته إخوانا، دلّنا ذلك، على أن هذه المحبة في الله، وعلى

أن هذه الأخوة في الله؛ من النعم العظيمة التي جعلها الله ﷻ في قلوب المؤمنين بعضِهم لبعض، ورعاية هذه النعمة والمحافظة عليها، اعتراف بأنها نعمة، وبأنها منَّة من الله ﷻ...

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، قال العلماء معنى قولِه: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾، يعني بعضهم ينصر بعضا، بعضهم يُوادّ بعضا، بعضهم يحب بعضا إلى سائر تلك الحقوق، فالموالاة عقد بين المؤمن والمؤمن، بين المسلم والمسلم، ولها درجات بحسب تلك العلاقة، وتلك المودّة بين الأخ والأخ، هذه الحقوق متنوعة ونذكر بعضا منها...

الحق الأول من تلك الحقوق؛ حقوق الأخوّة، أن يُحبّ أخاه لله لا لغرض من الدنيا؛ وهو الإخلاص في هذه العبودية.

فليس الشأن أن تكون مُحِبا لأخيك، وإنما الشأن في هذه العبودية التي تمتثل ما أمر الله ﷻ به، أن تكون محبتُك لهذا الخاص من الناس، أو محبتُك لإخوانك، أن تكون لله لا لغرض من الدنيا، فإذا أحببته فلما في قلبه من محبة الله، لما في قلبه من التوحيد، لما في قلبه من تعظيم الله ﷻ، لما في قلبه من متابعة النبي ﷺ، لما عمل بذلك من إظهار التوحيد على نفسه وجوارحه، وإظهار السنَّة على نفسه وجوارحه...

ولهذا إذا رسخت هذه الحقيقة، وقام المرء بهذا الحق؛

أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ظهرت آثار ذلك على قلبه، وعلى تصرفاته، وبقدر إخلاصه، وصدقه في محبته للمرء لا يحبه إلا لله، يظهر أثر ذلك في الحقوق..

ومن آثار ذلك وثمراته أن المحبة إذا كانت لله تدوم، وأما إذا كانت لغير الله فإنها لا تدوم، واستبر ذلك في الناس في علاقاتهم بالناس، في علاقاتهم بإخوانهم، في علاقاتهم بأهل العلم، في علاقاتهم بطلبة العلم، في علاقاتهم مع بعض إخوانهم ممن يملك مالا أو يملك تجارة، أو له جاه، أو له سمعة، وآخاه وصاحَبَه لا لله وإنما لغرض من أغراض الدنيا، فلما حصل ذلك الغرض انقضت تلك الأخوّة وصار غير شاكر له، أو غير مواصل له فضلا أن يكون أبعد من ذلك -والعياذ بالله- أن يكون ذامّا له مُخْبِرا بسيئاته

مخبرا بأحواله التي رآه منها في سالف زمنه.

لا شك أن هذا الحق وهو أول الحقوق؛ أن يوطن المرء نفسه، أن يحب المرء لا يحبه إلا لله يؤتي ثمرات عظيمة في العلاقة، يؤتي ثمرات عظيمة في التعامل، في حفظ الحقوق، وفي العبودية التي هي أعظم تلك الأمور...

الحق الثاني من حقوق الأخوة أن يقدّم الأخ لأخيه الإعانة بالمال وبالنفس.

من حق الأخوة، من حق الصحبة الخاصة، أن يسعى المرء في بذل نفسه، في بذل ماله لأخيه الخاص؛ لأن حقيقة الأخوّة أن يؤثر المرء غيره على نفسه، كما وصف الله ﷻ الذين امتثلوا ذلك بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، فالإيثار من حقوق الأخوّة

المستحبة، فإذا كان هذا في درجة الإيثار فذاك من الخير؛ لكن نطلب شيئا أقل من الإيثار، من حقوق الأخوّة في الإعانة بالمال والنفس؛ أن يتفقده بشيء فاضل في وقته، أن يتفقده بشيء فاضل في ماله، أن ينظر إلى أخيه، ينظر إلى حاجاته، وقد قال بعض العلماء إن من آداب أداء هذا الحق أن لا ينتظر أن يسأله أخوه ذلك الشيء، بل يبتدأ هو ويبحث عن حاجة أخيه الذي صافاه ووادَّه في الله ﷻ، وقد كان أمر النّبي ﷺ كما روى مسلم في الصحيح أمر بعض الصحابة أن يلقوا ما معهم الآخرين من الصحابة في بعض الغزوات حتى قال الراوي: حتى لم يكن أحدنا يرى أن له فضلا على أخيه. وهذا لا شك من المراتب العظيمة...

والذي يبذل مبتدءا ليس كمن يبذل مسؤولا، وقد قال

الله ﷻ في صفة المؤمنين: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكونهم رحماء بينهم يقتضي أن بعضهم يرحم بعضا، وبعضهم يرحم بعضا فيما يحتاجه؛ يحتاج إلى بذل الجاه، يحتاج إلى بذل المساعدة، يحتاج أن تساعده في نفسه، في بيته، يحتاج أن تساعده في جهده في إصلاح شيء، ضاق وقته عن بعض الأشياء عنده مهمات وعنده سفرات..

فحق الأخ على أخيه - حقوق الأخوة الخاصة - أن تسعى في ذلك، لأن عقد الأخوة الخاصة يقتضي البذل، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**مَثَل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى**

والسهر»، وفي الحديث الآخر حديث صحيح معروف «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**».

ما حقيقة الأخوّة إذا لم يكن ثم بذل، وثم عطاء في هذه المسائل وفي غيرها؟ وقد جاء في الحديث أيضا: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»، فإذا كنت موطنا نفسك في هذه المسائل أن تبذل لصفيِّك، أن تبذل لخليلك، أن تبذل لصاحبك، فإن ذلك من حقوق الأخوة التي من بذلها قبل السؤال فإنه قد أدى شيئا عظيما، ومن بذلها بعد السؤال فإنما أدى ما وجب عليه أو ما استحب له، لكن مكارم الأخلاق والإقبال على الخير أن تبتدأ بالشيء قبل أن تُسأل عنه...

وهناك مرتبة من المراتب يُحث عليها وهي أن كثيرين

قد يبذلون، وقد يكون له مع إخوانه مواقف حسنة ومواقف طيبة، لكنه يرى أن له فضلا بعد الإعانة، يرى أن له فضلا أن قَدَّم له، يرى أن له فضلا أن أعانه بمال، أن أعانه بجاه، أن أعانه ببذل، وحقيقة العبودية التامة، أن يكون المؤمن الذي بذل وأعطى شاكرا لله ﷻ، أن جعله سببا من أسباب الخير، التي ساق الخير على يديها، فإن الله ﷻ يستعمل بعض عباده في الخيرات، ومن الناس من عباد الله من هو مفتاح للخير مِغلاق للشر، فالعبد إذا أعان أخاه وإذا أعطاه وإذا بذل نفسه إذا بذل جاهه له فإنه لا يستحب له، بل إنه ليس بمحمود في حقه، ولا هو من مكارم الأخلاق، أن ينتظر الثناء، وأن يُصبح يذل ويمنُّ بهذا الذي عمله، فإن حقيقة الإخلاص والمحبة وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله،

أن يعامله لأجل أمر الله ﷻ بذلك، فينتظر الأجر والثواب من الله ﷻ.

الحق الثالث من حقوق الأخوّة حفظ العِرض، وهو حق عظيم من الحقوق.

فعِرض المسلم على المسلم حرام بعامة، فكيف إذا كان بين المسلم والمسلم أخوّة خاصة وعقد خاص من الأخوة، كيف لا يحفظ عرضه، وقد قام بينهم من الأخوة والمحبة الخاصة ما ليس بينه وبين غيره، إذا كان المسلم مأمورا أن يحفظ عرض أخيه الذي هو بعيد عنه، الذي ليس بينه وبينه صلة ولا محبة خاصة، فكيف بالذي بينه وبينه موادّة، وتعاون على البر والتقوى، وسعي في طاعة الله، وفي العبودية لله ﷻ، واكتساب الخيرات، والبعد عن

المآثم...

ما معنى الأخوة الخاصة إلا أن تكون مؤتمنا على ما رأيت، أن تكون مؤتمنا على ما سمعت، وإلا فيكون كل واحد يتحرز ممن يخالطه، فليس ثَم إذن إخوان صدق، ولا إخوان يحفظون المرء في حضوره، وفي غيبته، مما حَدَا ببعض الناس لما رأى الزمن -زمنه- لما رأى زمنه خلا من هذا الصديق، وهذا المحب الذي يحفظ عِرضه، ويكون وفيًّا معه، هداه أن ألف كتابا وسماه [**تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب**] لأنه وجد الكلب إذا أحسن إليه من ربَّاه، فإنه يكون وفيا له، حتى يبذل دمه لأجل من أحسن إليه، فقال تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، لأن كثيرين يخونون؛ يخالط مخالطة خاصة، ويطّلع على أشياء

خاصة، ثم ما يلبث أن يبُثَّها، وأن يذكر العيوب التي رأى، وأن يفضحه بأشياء، لو كان ذاك يعلم أنه سيخبر عنه لعدّه عدوا، ولم يعدّه حبيبا موافيا، لهذا من حق أخيك عليك أن تحفظ عرضه بالسكوت عن ذكر عيوبه، سواء بمحضر الناس في حضرته، أو في غيبته من باب أولى، فإن حق المسلم على المسلم أن يحفظ العرض فكيف إذا كان ذلك خاصا.

الواجب عليك أن تحفظ عرض أخيك، وإذا سمعت شيئا عنه، أو رأيته هو على حال، أو تكلم بمقال، أو رأيته على شيء لن يحمد، أو نحو ذلك فحفظ عرضه هو الواجب، لا أن تبذل عرضه، وأن تتكلم فيه؛ لأن العرض مأمور أنت بحفظه، والمسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه...

الحق الرابع من الحقوق أن تُجنِّب أخاك سوء الظن به.

قال ﷺ: «**إياكم والظن**»، فهذا عام، ظنٌّ من جهة الأقوال، ونهي عن الظن من جهة الأفعال، «**فإن الظن أكذب الحديث**»، هذا نصه ﷺ الظن هو أكذب ما يكون في قلبك، فإن الظن أكذب الحديث إذا حدثتك نفسك من داخلك بظنون، فاعلم أن هذا هو أكذب الحديث، إذن حق أخيك عليك ألا تظن به إلا خيرا، وأن تجتنب معه الظن السيئ كما أمرك الله ﷻ بذلك بقوله: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، فالظن السيئ إثم على صاحبه، يأثم به لأنه خالف الأصل...

وقد روى الإمام أحمد في الزهد ورواه غيره أن عمر رضي الله عنه قال ناصحا: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا

وأنت تجد لها في الخير محملا. لاحظ أنه نهى عن الظن السيئ في الأقوال، ما دام أن الكلام يحتمل الصواب، يحتمل الخير فلا تظنن السوء بأخيك، لأن الأصل أنه إنما يقول الصواب، لا يقول الباطل، فإذا كان الكلام يحتمل الصواب فوجِّه إلى الصواب، فيسلم أخوك من النقد ويسلم من الظن السيئ، وتسلم أنت من الإثم، وأيضا يسلم من التأثر؛ تسلم ويسلم...

وهناك أصل من الأصول في فهم الكلام وهو أن لكل كلام دِلالة؛ ودلالة الكلام عند الأصوليين متنوعة، ومن دلالاته ما يسمى بالدِّلالة الحملية، يعني دلالة السياق على الكلام، هناك كلام إذا أُخذ بمفرده دل على شيء، ولكن إذا أخذ بسياقه؛ يعني سباقه ولحاقه بما قبله وبما بعده

أوضح المراد، فإذا الكلام صادر من مؤمن، صادر ممن بينك وبينه أخوة، سمعت منه كلمة فلا يأتي الشيطان وينفخ فيك أن تحمل هذه الكلمة على المحمل السوء، بل احملها على المحمل الخير يكن في قلبك إقامة المودة مع إخوانك، وأيضا لا يدخل الشيطان بينك وبين إخوانك، فرعاية الدلالة الحملية؛ دلالة الكلام هذه مهمة، وهي التي يعتمدها أهل العلم في فهم الكلام، وكذلك يعتمدها الصالحون في فهم كلام الناس، لأن الناس إنما يُفهم كلامهم على ما يدل عليه الكلام بكله لا بلفظة منه فقط، فإن الألفاظ قد تخون المتكلم، لكن إذا عُلم مقصده في كل الكلام فإنه يُعذر، وقد بينا أن من كلام الناس - يعني في الدرس الماضي - وهو من باب أولى، من كلام الناس ما

هو متشابه يشتبه على الناظر فيه، يشتبه على السامع له، فإذا نظر إلى هذا الكلام نظر طالب للمعذرة طالب لحمل الكلام على أحسن محامله، فإنه يستريح ويُريح، ويبقى هذا الحق ويكون قد أدّى هذا الحق لأخيه، إذن من فسر كلام أخيه تفسيرا مغالطا؛ زاد فيه، حمله على أسوأ المحامل فإنه لم يؤدِّ حقه، كذلك في باب الأفعال....

الحق الخامس من حقوق الأخوّة أن تتجنّب مع إخوانك المراء والممارات.

فإن المراء مُذْهِبٌ للمحبة، ومُذْهِبٌ للصداقة، مُفسد للصداقة القديمة، ومُحلّ للبغضاء والتشاحن والقطيعة بين الناس..

فيجب أن يكون المسلم مع أخيه، ومع صحبته، ومع

خاصته مُتنزهًا عن الممارات، لأن وجهات النظر في المسائل تختلف، كلما توسع نظر المرء، وتوسع عقله وإدراكه، علم أن النظر في بعض المسائل متسع، لا يكون على جهة واحدة..

إذا بدأت المسألة تدخل في المِراء فانسحب سواء كنت محقا أو ترى من نفسك أن الصواب مع أخيك وليس معك، وقد قال ﷺ: «**من ترك المِراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة**»، فترك المراء محمود، وهو من حق الأخ على أخيه ألا يستدرجه في أن يماريه، لا يستدرجه في أن يجادله، أن لا يستدرجه في أن يكون هذا يرفع الصوت على هذا، حتى تنقطع الأخوّة وحتى يعدو هذا على هذا

بالكلام، وإن لم يعدُ بالكلام، فقد يعدو بقلبه، ويظن أن هذا قصد كذا، وخالفه، ويرى كذا، وهذا لا يقدر هذا إلى آخر ذلك من مساوئ الشيطان...

المراء مضاد لحسن الخُلق، فإن الناظر إذا تأمل ما يجب عليه من حسن الخُلق، فإنه لا يماري، لأن الممارات فيها انتصار، وفيها استعلاء على الآخر، وهذا مضاد لحسن الخلق.

الحق السادس من حقوق الأخوة بذل اللسان لأخيك.

اللسان كما أنه في حفظ العرض كففت اللسان عن أخيك، فهنا من الحقوق أن تبذل اللسان له؛ لأن المصاحبة والأخوّة قامت على رؤية الصور فقط، أم على الحديث؟ إنما قامت على الحديث، وحركة اللسان هذا مع حركة

لسان الآخر تُقيم بين القلوب تآلفا، فلذلك لابد أن تبذل اللسان لأخيك.

تبذل اللسان في التودُّد له، يعني لا تكن شحيحا بلسانك عن أن تتودد لأخيك، والنبي ﷺ قال: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه فإذا أعلمه فليقل الآخر أحبك الله الذي أحببتني فيه**»، هذا من أنواع بذل اللسان، وهذا يورث المودة، يورث المحبة..

تتودد له باللسان؛ بمثل أن تقول له هذه الكلمة، بأن تتكلم معه بأحسن الكلام، وقد قال ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]، قال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [الإسراء:٥٣]، فهذا بذل اللسان لأخيه أن تنتقي في معاملتك

مع إخوانك ومع خاصتك بل ومع المسلمين بعامة أن تنتقي اللفظ الحسن فقط؟ لا ولكن أحسن الألفاظ لأن الله ﷻ أمر بذلك فقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]، فإذا توددت له باللسان وذكرت له أحسن ما تجد فإن هذا فيه إقامة علاقة القلب ومحبة القلب وفي هذا من المصالح التي تكون في المجتمع المسلم وفي قلوب المؤمنين بعضهم مع بعض ما يضيق المقام عن ذكره وعن تَعداده.

من مظاهر التودد باللسان أو بذل اللسان له:

الأول من مظاهر بذل اللسان للأخ أن تثني عليه في غير حضوره إذا خالطتَ أحدا وتعلم من أخيك هذا صفات محمودة، تثني عليه في غير حضوره؛ لأنك إذا أثنيت عليه

في حضوره صار مدحا، والمدح ممنوع لأنه يورث عجبًا، لكن تثني عليه في غير حضوره، هل الثناء عليه لابد أن يبلغه، فتقوم المحبة صادقة، فتقوم المحبة قياما صحيحا.

الثاني أن ذكر محاسن أخيك عند غيرك تجعل أولئك يجتهدون في الإقتداء، ويعلمون أن الخير فيه أناس كثيرون يعملون به، فالمرء إذا ذُكر عنده الخير تشجع له، وإذا ذكرت عنده الشرور تشجع لها، فذكر الخيرات في المجالس هو الذي ينبغي، أما ذكر الشرور وذكر الآفات وذكر المعايب فإنه هو الذي يجب الالتفات عنه، لأن في ذكر المعايب ما ييسر سبيل الإقتداء بأهلها فيها، وفي ذكر المحاسن والثناء على أصحابها فيه ما يشجع على الإقتداء بهم فيها، فإذن من حق أخيك عليك أنك إذا نظرت له من

حسنة فلا تخفها، وإذا نظرت منه إلى سيئة فأخفها، وفي ذلك من المصالح ما هو معلوم، أيضا يتبع هذا المظهر أنه إذا أثني عليه فتدخل السرور على قلبه بإبلاغه بالثناء عليه أثنى عليك بعض الأخوة في مجلس أثنى عليك فلان لأنه هو لا يعلم فإذا علم أن فلانا أثنى عليه صار قلبه محبا له، والناس محبون لمن أحسن إليهم:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ
فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

والإحسان يكون بالكلمة كما يكون بالفعل، فإذا سمعت أن هناك من يثني عليه فتبلغه؛ الحمد لله والله أثنى عليك فلان وقال عليك خيرا نسأل لك الثبات ونحو ذلك، وهذا يشجعه، الآخر ينبغي له في حقه أن ينتبه لنفسه، وإذا

أُثني عليه يعلم أن المنة من الله ﷻ عليه عظمت، وأن شكر الله بملازمة ما أثني عليه به من الحق، وألا يغتر بنفسه.

ومن مظاهر بذل اللسان للأخ شكرُه على بذله وعلى حسن المعاملة، لأن النبي ﷺ قال: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»، «**من صنع إليكم معروفا فكافئوه**»، إذا لم تجد ما تكافؤه تجازيه خيرا؛ تدعو له تشكره، هذا من حق الأخ لأخيه من الناس من يأخذ ويأخذ ويأخذ ولا يعوض ولا يثني ولا يذكر، إذا ما استطعت أن تبذل بكلمة، أبذل برسالة، أبذل بورقة، بنصف ورقة، فإن هذا فيه أثر، وفيه تشجيع لأبواب الخير، وقد قال علي فيما روي عنه: «من لم يحمد أخاه على حسن النية، لم يحمده على حسن الصنيعة»، هذه مرتبة عُليا؛ من لم يحمد أخاه على حسن

النية لم يحمده على حسن الصنيعة؛ لأن أخاك إذا بذل لك فإنه في أول الأمر حَسَّن نيته معك، وعاملك معاملة من يريد الخير، قد يكون بذل لك فعلا، أو يكون أراد أن يبذل، ولم يحصل له، يشكره حتى على حسن النية على ما قام في قلبه، لأن في هذا عقد للأخوة، وفيه تشجيع على بذل الخير، وأن يبذل كل أخ لأخيه من لم يحمد أخاه على حسن النية، لم يحمده على حسن الصنيعة، يعني لو فعل معه صنيعة فإنه ربما لم يحمده عليها.

الحق السابع من حقوق الأخوة العفو عن الزَّلات.

وهذا باب واسع، باب عظيم؛ لأن ما من متعاشرَين، ما من متصاحبين، ما من متآخيين، أو ما من متآخيين، إلا ولابد أن يكون بينهم زلات، لابد أن يطلع هذا من هذا

على زلة، على هفوة، لابد أن يكون منه كلمة، لأن الناس بشر، والبشر خطّاء، (**كُلّكم خَطّاءٌ. وَخَيْرُ الْخَطّائِينَ التّوّابُونَ**) فمن حق الأخوة أن تعفو عن الزلات...

أمّا ما كان من الزلات في حقك، فحق الأخوّة أولا أن لا تعظِّم تلك الزلة يأتي الشيطان فينفخ في القلب، ويبدأ يكرر عليه هذه الكلمة، يكرر عليه هذا الفعل حتى يعظمها، يعظمها وتنقطع أواصل المحبة والأخوة، ويكون الأمر بعد المحبة وبعد التواصل، يكون هجرانا وقطيعة للدنيا، وليس لله ﷻ سبيل ذلك أن تنظر إلى حسناته؛ تقول أصابني منه هذه الزلة، غلط علي هذه المرة، تناولني بكلام، في حضرتك أو في غيبتك، لكن تنظر إلى حسناته، تنظر إلى معاشرته، تنظر إلى صدقه معك في سنين مضت، أو في

أحوال مضت، فتعظم الحسنات، وتصغر السيئات، حتى يقوم عقد الأخوة بينك وبينه، حتى لا تنفصل تلك المحبة.

الحق الثامن من حقوق الأخوة الفرح بما آتاه الله ﷻ.

فرح الأخ لأخيه بما آتاه الله ﷻ، الله سبحانه قسم بين الناس أخلاقهم كما قسم بينهم أرزاقهم، فضَّل بعضهم على بعض، فحق الأخ لأخيه، وحق الأخ على أخيه أنه إذا آتى اللهُ ﷻ واحدا من إخوانك فضلا ونعمة فتفرح بذلك، وكأن الله ﷻ خصك بذلك، وهذا من مقتضيات عقد الأخوّة، وهذا طارد للحسد، ومن لم يكن فرحا بما آتى اللهُ ﷻ إخوانه فإنه قد يكون غير فرح مجردًا، وقد يكون غير فرح وحاسد أيضا، وهذا من آفات الأخوة...

انتهى كلام العلامة صالح آل الشيخ حفظه الله ونفع به.

شروط وحقوق الأخ والصّديق

الإمـام الفقيـه المفسّـر المتفنّن أبـو القاسـم ابـن جُـزَي المالكي ﵀ لخّص شروط وحقوق الصديق وحقـوق سـائر الناس بقوله:

فَأَما الصّديق فشروطه سَبْعَة:

الأول: أَن يكون سنيا فِي اعْتِقَاده.

الثاني: أَن يكون تقيا فِي دينه فَإِنَّهُ إِن كَانَ بـدعيا أَو فَاسِـقًا رُبمَا جـر صَـاحبه إِلَـى مذْهبـه أَو ظـن النَّـاس فِيـهِ ذَلِـك فَـإِن الْمَرْء على دين خَلِيله.

الثالث: أَن يكون عَاقِلا فصحبة الأحمق بلَاء.

الرابع: أَن يكون حسن الْخلق فَإِن كَانَ سـيء الْخلـق لـم

تـؤمن عداوتـه وتختـبره بِـأَن تغضـبه فَـإِن غضـب فـاترك صحبته.

الخامس: أَن يكون سـليم الصَّـدْر فِـي الْحُضُـور والغيبـة لَا حقودا وَلَا حسودا وَلَا مرِيدا للشر وَلَا ذَا وَجْهَيْن.

السّادس: أَن يكون ثَابت الْعَهْد غير ملول وَلَا متلول.

السابِع: أَن يقوم بحقوقك كَمَا تقوم بحقوقه فَلَا خير فِي صُحْبَة من لَا يرى لَك من الْحق مثل الَّذِي ترى لَهُ.

وَحُقُوق الصّديق سَبْعَة:

الأول: الْمُشَاركَة فِي المَال حَتَّى لَا يخْتَص أَحدهمَا بِشَيْء دون الآخر.

الثَّانِي: الْإِعَانَة بِالنَّفسِ فِي قَضَاء الْحَاجَات وَتَقْدِيم حَاجته على حَاجَتك.

الثَّالِث: الْمُوَافقَة لَهُ على أَقْوَاله والمساعدة لَهُ على أغراضه من غير مُخَالفَة وَلَا مُنَازعَة فَإِن الْمُخَالفَة توجب الْبغضَاء.

الرَّابِع: الْعَفو عَن هفوات الصّديق والإغضاء عَن عيوبه فَمن طلب صديقا بِلَا عيب بَقِي بِلَا صديق.

الْخَامِس: النَّصِيحَة لَهُ فِي دينه ودنياه.

السَّادِس: الخلوص فِي مودته ظَاهرا وَبَاطنا حَاضرا وغائبا والإنتصار لَهُ فِي غيبته.

السَّابِع: الدُّعَاء لَهُ بِظهْر الْغَيْب.

وَأما سَائِر النَّاس فحقوق الْمُسلم على الْمُسلم عشرَة:

- أَن يسلم عَلَيْهِ إِذا لقِيه،
- ويعوده إِذا مرض،

- ويجيبه إِذا دَعَاهُ،
- ويشمته إِذا عطس،
- وَيشْهد جنَازَته إِذا مَاتَ،
- ويبر قسمه إِذا أقسم،
- وَينْصَح لَهُ إِذا استنصحه،
- وَيُحب لَهُ من الْخَيْر مَا يحب لنَفسِهِ،
- ويكف عَنهُ شَره مَا اسْتَطَاعَ فالمسلم من سلم الْمُسلمُونَ من يَده وَلسَانه،
- ويبذل لَهُ من خَيره مَا اسْتَطَاعَ فِي دينه ودنياه فَإِن لم يقدر على شَيْء فكلمة طيبَة.

فَإِن كَانَ من الْقَرَابَة فيزيد على ذَلِك حق صلَة الرَّحِم:

- بِالْإِحْسَانِ،

- والزيارة،
- وَحسن الْكَلَام،
- وَاحْتِمَال الْجفَاء،

وَإِن كَانَ جارا أَو ضيفا فَلَهُ حق الضِّيَافَة والجوار.

وَإِن كَانَ مَمْلُوكا فَلهُ حق الرِّفْق بِهِ وتوفية حُقُوقه من كسوته وَطَعَامه.

وموجبات الْمَوَدَّة ثَلَاثَة:

- أَن تبدأ أَخَاك بِالسَّلَامِ،
- وَتوسع لَهُ الْمجْلس،
- وَتَدْعُوهُ بِأحب أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ.

وجماع حسن الْخلق ثَلَاثَة:

- كف الْأَذَى،

- وَاحْتِمَال الْأَذَى،
- وبذل الْمَعْرُوف.

وجماع ذَلِك كُله أَن تكون لأخيك كَمَا تحب أَن يكون هُوَ لَك.

وَأفضل الْفَضَائِل أَن تصل من قَطعك وَتُعْطِي من حَرمك وَتَعْفُو عَمَّن ظلمك.

وَلَا يحل لمُسلم أَن يهجر أَخَاهُ فَوق ثَلَاث لَيَال وَالسَّلَام يخرج عَن الهجران وخيرهما الَّذِي يبْدَأ بِالسَّلَامِ ويهجر أهل الْبدع والفسوق لِأَن الْحبّ فِي الله والبغض فِي الله من الْإِيمَان.

مَسْأَلَة: لَا يَتَنَاجَى اثْنَان دون وَاحِد لِأَن ذَلِك يحزنهُ لَا فِي سفر وَلَا فِي حضر وَكَذَلِكَ لَا يَتَنَاجَى ثَلَاثَة دون وَاحِد

وَكلما كَثْرَة الْجَمَاعَة اشْتَدَّ حزنه فَيجب الْمَنْع. [القوانين الفقهية (ص:٢٩١- ٢٩٢)].

الأخوة ليست وصفاً يكفي أن يثبت بالألسنة بل هي رابطة وعقيدة لا تحققها إلا الأفعال

قال الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس الجزائري ﵀: (لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار لتقوية الرابطة العامة بالرابطة الخاصة فآخى بين سعد بن الربيعة وعبد الرحمن بن عوف. وكان سعد أكثر من الأنصار مالا وكان متزوجًا امرأتين فرأى من حق هذه الأخوة بينه وبين أخيه المهاجري أن يشاطره ما عنده فقال لعبد الرحمن: «إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجتها»، فقال له عبد الرحمن: «بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق» [البخاري]، فلم يكتف

سعد بالنزول لأخيه عن شطر ماله حتى أراد النزول له عن إحدى زوجتيه، لأنه يعلم أن الأخوة ليست وصفًا يكفي أن يثبت بالألسنة، بل هي رابطة وعقيدة لا تحققها إلا الأفعال، وهذه حقيقة الأخوة خاصة كانت أو عامة، فالمسلم الذي يشعر بأخوة الإسلام شعوراً صحيحًا ويعتقدها اعتقاداً صادقًا هو الذي يشاطر المسلمين في سرائهم وضرائهم، ويشركهم معه فيما عنده من خير بقدر ما استطاع فأما من لم يهتم بأمورهم وقبض يده عن مواساتهم وشح بالفرض والمستحب من الصدقة عليهم، فهو كاذب في أخوته جاهل بحقيقة الأخوة وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾. وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**». [الآثار: ٤/ ٨٣ - ٨٤].

صفات الأخ والصّديق الحقيقيّ

الأخ والصّديق الحقيقيّ هو العبد الصّالح، المطيع لربّه، الملتزم بأوامر دينه، الحريص على مرضاة الله، المسارع بالإيمان إلى كل خير، المنصرف بالتّقوى عن كل شر، المحب للسنة وأهلها، الموالي في الله، المعادي في الله، المبغض للعصيان وأهله، التقي النقي، البر الخفي، الذي لا غل في قلبه ولا حسد.

الصديق الصالح هو الذي يذكرك بربك متى غفلت عن ذكره، ويعينك ويشاركك: إذا كنت في ذكر لربك. قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. [متفق عليه].

قال الإمام النووي رحمه الله: (صَرِيح فِي تَعْظِيم حُقُوق الْمُسْلِمِينَ بَعْضهمْ عَلَى بَعْض، وَحَثّهمْ عَلَى التَّرَاحُم وَالْمُلَاطَفَة وَالتَّعَاضُد فِي غَيْر إِثْم وَلَا مَكْرُوه).

الصديق الصالح هو الذي لا يطلب عثرات إخوانه ولا يتتبعهم، وإنما يطلب ما يقيلهم.

قال ابن مازن: (المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم).

وقال الفضيل بن عياض: (الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان). [آداب العشرة (ص: ١-٣)].

الصديق الصالح من سلم المسلمون من لسانه ويده، كما قال النبي ﷺ في وصف المسلم.

وقد قال أبو الفيض بن إبراهيم المصري: (عليك

بصحبة من تسلم منه في ظاهرك، وتعينك رؤيته على الخير، ويذكرك مولاك). [آداب العشرة (ص: ٣)].

ومن صفات الصديق الصالح أن يحمد إخوانه بحسن الثناء عليهم، وإن لم يساعدهم باليد.

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَتْ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ بَذْلًا مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ، قَدْ كَفَوْنَا الْمَئُونَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ، فَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ.

فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**كَلَّا؛ مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَدَعَوْتُمْ اللهَ عز وجل لَهُمْ**»». [صححه الألباني في «صحيح أبي داود»].

ومن صفاته بشاشة الوجه، ولطف اللسان، وسعة

القلب، وبسط اليد، وكظم الغيظ، وترك الكبر، وملازمة الحرمة، وإظهار الفرح بما رزق من عشرتهم وأخوتهم.

ومنها: سلامة القلب وإسداء النصحية لإخوانه، وقبولها منهم.

ومنها: موافقة إخوانه وعدم مخالفتهم في المعروف، وحبس النفس على ملامتهم.

قال أبو زائدة: " كتب الأحنف إلى صديق له: أما بعد، فإذا قدم أخ لك موافق، فليكن منك بمنزلة السمع والبصر؛ فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف. ألم تسمع قول الله ﷻ لنوح عليه السلام في ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾". [آداب العشرة" (ص: ٧)].

ومنها: حب التزاور والتلاقي والتباذل، والبشاشة عند

اللقاء، والمصافحة بود وإخاء.

وقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ. قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».

وروى الإمام أحمد عن مُعَاذ بْن جَبَلٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ ﷻ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ». [صححه الألباني في «صحيح الترغيب»].

وقد كان يقال: (لا تصحب إلا من إن صحبته زانك،

وإن حملت مؤونة أعانك، وإن رأى منك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن تعففت عنه ابتداك، وإن عاتبك لم يحرمك، وإن تباعدت عنه لم يرفضك). [تاريخ دمشق (٦٨/ ٢٣٦)].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: (الصحبة مع الإخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم واستصغار ما منك إليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغي والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه، وترك ما يعتذر منه) انتهى. [آداب الصحبة (ص: ١٢٠)].

ومنها: أن لا يحسد إخوانه على ما يرى عليهم من آثار نعم الله، بل يفرح بذلك ويحمد الله على ما يرى من النعمة عليهم كما يحمده على نفسه. قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ

ﵟٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖﵞ [النساء: ٥٤].

ومنها: المعاشرة بالمعروف بصدق وإخلاص.

قال أبو صالح: (المؤمن يعاشرك بالمعروف ويدلك على صلاح دينك ودنياك، والمنافق يعاشرك بالممادحة، ويدلك على ما تشتهيه، والمعصوم من فرق بين الحالين). [آداب الصحبة (ص: ٥٥)].

ومنها: القيام بأعذار الإخوان والأصحاب والذب عنهم والانتصار لهم.

ومنها: أن يشارك إخوانه في المكروه كما يشاركهم في المحبوب، لا يتلون عليهم في الحالين جميعا.

ومنها: أن لا يمن بمعروفه على من يحسن إليه ويستصغره، ويعظم عنده معروف إخوانه ويستكثره.

ومنها: أن يجتهد في ستر عورة إخوانه وإظهار مناقبهم

وكتمان قبائحهم.

ومنها: التودد إلى إخوانه باصطناع المعروف إليهم، والصفح عما بدر منهم، والتماس الأعذار لهم.

وعن محمد بن المنكدر قال: (لم يبق من لذة الدنيا إلا قضاء حوائج الإخوان). [تاريخ دمشق (٥٦/ ٥٣)].

وبالجملة: فالصديق الصالح هو الخليل المعين على كل خير، ذو الخلق الحسن، الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، المحافظ على حق الصحبة في الغيب والشهادة، مراعيها حق رعايتها بالقول والفعل، والذي لا يفعل ذلك إلا لله، يرجو به عقبى الله. [منقول من موقع الإسلام سؤال وجواب].

الصَّديق عند الضِّيق

▪ قال الإمام العلاّمة الحافظ ابن حبان ﵀:

والإخوان يُعرفون عند الحوائج؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء، وشرّ الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة. [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢٢١)].

دَعوَى الإِخاءِ في الرَّخاءِ كثيرةٌ
بل في الشَّدائِدِ تُعرَفُ الإِخوانُ

▪▪▪▪▪▪

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي بِلِسَانِهِ
وَلَكِنَّ أَخِي مَنْ وَدَّنِي فِي النَّوَائِبِ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدَمًا

وَمَـــالِي لَـــهُ إِنْ عَـــضَّ دَهْـــرٌ بِغَـــارِبِ
فَـــلَا تَحْمَـــدَنَّ عِنْـــدَ الرَّخَـــاءِ مُؤَاخِيًـــا
فَقَـــدْ يُنْكِـــرُ الْأَخَـــوَانُ عِنْـــدَ الْمَصَـــائِبِ

■■■■■■

إِذَا كَـــانَ وُدُّ الْمَـــرْءِ لَـــيْسَ بِزَائِـــدٍ
عَلَـــى مَرْحَبًـــا أَوْ كَيْـــفَ أَنْـــتَ وَحَالُكَـــا
وَلَـــمْ يَـــكُ إِلَّا كَاشِـــرًا أَوْ مُحْـــدِثًا
فَـــأُفٍّ لِـــوُدٍّ لَـــيْسَ إِلَّا كَـــذَلِكَا
لِسَـــانُكَ مَعْسُـــولٌ وَنَفْسُـــكَ بَشَّـــةٌ
وَعِنْـــدَ الثُّرَيَّـــا مِـــنْ صَـــدِيقِكَ مَالُكَـــا
فَأَنْـــتَ إِذَا هَمَّـــتْ يَمِينُـــكَ مَـــرَّةً
لِتَفْعَـــلَ خَيْـــرًا قَابَلَتْهَـــا شِـــمَالُكَا

■■■■■■

صَــــدِيقٌ لَــــيْسَ يَنْفَــــعُ يَــــوْمَ بُــــؤْسٍ
قَرِيــــبٌ مِــــنْ عَــــدُوٍّ فِي الْقِيَــــاسِ
وَمَــــا يَبْقَــــى الصَّــــدِيقُ بِكُــــلِّ عَصْــــرٍ
ولا الإخــــــــوانُ إلا للتآســــــــي
عمــــرتُ الــــدَّهرَ ملتمســــًا بجهــــدي
أخــــا ثقــــةٍ فألهــــاني التماســــي
تنكــــرتِ الــــبلادُ ومــــن بجهــــدي
كَــــأَنَّ أُنَاسَــــهَا لَيْسُــــوا بِنَــــاس

■■■■■■

مــــا أَكْثَــــرَ النَّــــاسَ! لا بــــلْ مــــا أَقَلَّهــــم!
الله يَعلَــــمُ أَنّــــي لَــــم أَقُــــلْ فَنَــــدا

إنِّـــي لأفْــتَحُ عينـــي حِـــين افتَحُهـــا
علـــى كثيـــر ولكـــنْ لا أرى أَحـــدا

■■■■■■

دَهْرُنَـــا دَهْـــرُ افْتِـــرَاقِ لَـــيْسَ ذَا دَهْـــرَ تَـــلاَقِ
قَـــلَّ مَـــنْ يَلْقَـــاكَ إِلَّا بِسَـــلَامٍ وَاعْتِنَـــاقِ
فَـــإِذَا وَلَّيْـــتَ عَنْـــهُ بِنْـــتَ مِنْـــهُ بِطَـــلاَقِ

■■■■■■

مَضَـــى الْأَحْـــرَارُ وَانْقَرَضُـــوا جَمِيعًـــا
وَخَلَّفَنِـــي الزَّمَـــانُ عَلَـــى عُلُـــوجِ
وَقَـــالُوا قَـــدْ لَزِمْـــتَ الْبَيْـــتَ جِـــدًّا
فَقُلْـــتُ لِفَقْـــدِ فَائِـــدَةِ الْخُـــرُوجِ

■ التعميم هكذا فيه مبالغة ولكن: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾..

وقـــد كـــانوا إذا عـــدّوا قلـــيلا

فصـــاروا اليـــوم أقـــلّ مـــن القليـــل

والله المستعان.

حِكَمٌ وأشعارٌ عن الأخوّة والصّداقة

رَوَى الأوزاعيّ عن يحيى بن أبي كَثير أنّ داود قال لابنه سُليمان عليهما السلام: يا بُنيّ لا تَستَقلّ عَدوَاً واحداً ولا تَستَكْثِر أَلف صَديق، ولا تَستَبدل بأخٍ قديم أخاً مُستَحدثاً ما استَقام لك.

قال الأحْنف بن قَيْس: خَيْرُ الإخوان إن استغنيت عنه لم يَزِدك في المَودَّة، وإن احتَجْت إليه لم يَنْقُصك منها، وإن كُوثِرت عَضدك، وإن استرفدت رِفدَك، وأنشد:

أخوكَ الذي إن تَدْعُه لِمُلِمِّة
يُجِبْك وإنْ تَغْضب إلى السَّيف يَغْضب

أخَــاكَ أَخَــاكَ إنّ مَــن لا أخــًا لــه
كَســاعٍ إلــى الهَيْجَــا بغَيْــر سِــلاح
وإنّ ابــن عَــمّ المَــرْء فــاعْلَم جَناحُــه
وهــل يًــنهض البــازِي بغَيْــر جَنَــاح

قالوا: (الصَّدِيق من صَدَقك وُدّه، وبَذَل لك رِفْدَه).

وقـالوا: (أربعـة لا تعـرَف إلاّ عِنْـد أربعـة: لا يُعـرف الشجاع إلا عند الحَرْب، ولا الحَلِيم إلا عند الغَضب، ولا الأمـين إلا عنـد الأخـذ والعَطـاء، ولا الأخـوانُ إلا عَنـد النَّوائب).

وقالوا: (خير الإخوان مَن أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك).

وقال الشاعر:

فــــإنّ أوْلَــــى المَـــوالي أن توَاليـــه
عنــد السُّـــرور لمَـــن واســـاكَ في الحَـــزَنِ
إن الكـــرِامَ إذا مَـــا أُســـهَلوا ذَكَـــرُوا
مَـــن كـــان يـــألَفَهُم في المنـــزل الخَشِـــن

■■■■■■

الــــبرُّ مــــن كَـــرَم الطبيعـــة
والمَــــنّ مَفْســــدة الصــــنيعة
تَــــرْكُ التعهُّــــد للصَّــــدي
ق يكــــون داعيـــةَ القطيعـــة

أنشد محمدُ بن يزيد المبرِّد لعبد الصَّمد بن المُعذَّل في الحَسْن بن إبراهيم:

يــا مــن فَــدَت نَفْسَــه نَفْســي ومــن جُعلــت

لــــه وِقَــــاءً لِمَـــا يخشـــى وأَخْشـــاهُ

أبْلِـــغ أخــــاكَ وان شَـــط المَـــزَار بـــه

أنِّـــي وإنْ كُنـــتُ لا ألقـــاه ألقـــاه

وأنّ طَــــــرْفِي مَوْصــــــول برؤيتـــــه

وإنْ تَباعـــد عـــن مَثْـــواي مَثْـــواه

اللّـــه يعْلَـــم أنّـــي لســـتُ أذْكُـــره

وكيـــف يَـــذكره مَـــن لـــيس يَنْســـاه

فالـــدهر يَفْنـــى ولا تَفْنـــى مَكارمـــه

والقَطْـــر يُحْمـــىَ ولا تُحْصـــىَ عَطَايَـــاه

وقيل لبعض الوُلاة: كم صديقًا لك؟ قال: لا أدْري، الدُّنيا مُقْبِلة عليَّ والناس كلّهم أصدقائِي، وإنما أَعرف ذلك إذا أدبرَتْ عنِّي.

قالت الحكماء: (مما يجب للصَّديق على الصديق الإغْضاء عن زلاّته، والتَّجاوز عن سيّآته، فإن رجع وأعتب وإلاّ عاتبتَه بلا إكثار، فإنّ كثرَة العتاب مَدْرجة للقَطِيعة).

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تَقْطع أخاك على ارتياب، ولا تهجره دون استِعْتاب».

وقال أبو الدَّرداء: «مَن لك بأَخيك كلّه».

وقالوا: أيّ الرجال المُهذَّب.

وقال بشّار العُقَيْليّ:

إذا أنتَ لم تَشْرب مِراراً على القَذَى
ظَمِئْتَ وأيُ النَّاس تَصْفو مَشارِبُه

وقالوا: (مُعاتبة الأخ خَيرٌ من فَقْدِه).

وقال الشاعر:

إذا ذَهَـــب العِتـــاب فلـــيْسَ ودٌ
ويَبْقَـــى الـــوُدُّ مـــا بَقِـــي العِتَـــابُ

وقال رجلٌ لمُطِيع بن إياس: (جِئّتُك خاطبـًا مَوَدَّتك)؛ قـال: (قـد زَوَّجتكهـا علـى شـرط أن تجعـل صَـداقها أن لا تَسمع فيَّ مقالَ الناس).

ويقـال في المَثَـل: (مَـن لـم يَـزْدَرِد الرّيـق لـم يَسـتكثر مـن الصديق).

قيل لبُزرجمهر: مَن أحـب إليـك: أخـوك أم صـديقك؟ فقال: ما أحِبّ أخي إلا إذا كان لي صديقـًا.

وقـال أكـثم بـن صَـيفيّ: (القرابـة تحتـاج إلـى مـودَة، والمودَة لا تحتاج إلى قرابة).

وقالت الحكماء: (رُبّ أخ لك لم تَلِدْه أمك).

وقالوا: (القَرِيب من قَرب نَفْعه).

وقالوا: (رُبّ بعيدٍ أقرب من قَريب).

▪▪▪▪▪▪

رُب بعيـــــــدَ ناصـــــحُ الجَيْــــــب
وابــــــن أبِ مُــــــتهم الْغَيـــــــب

▪▪▪▪▪▪

أخُـــــو ثِقـــــةٍ يُسَـــــر بـــــبعض شـــانِي
وِإنْ لـــــم تُدْنِـــــه منـــــي قَرَابـــــهْ
أحَـــــبُّ إلـــــيَّ مـــــن ألْفـــــي قَريـــــب
لَبيـــــتُ صُـــــدورهم لـــــي مُسْـــــترابه

▪▪▪▪▪▪

مـــن يعـــش عمـــره بغيـــر صـــديقٍ

كـــان كـــالعنكبوت بيتـــًا ودينـــا

بيتهـــــا لا تحيكـــــهُ لســـــواها

بـــل هـــو الفـــخُّ مَهلَـــكُ الزائـــرين

بينمـــا النحـــل يجـــتمعن ألوفـــًا

في وفـــاقٍ يعلِّـــمُ العـــالمين

في نظـــامٍ مجلـــلٍ ومُطـــاعٍ

فتـــآخٍ يبقـــي الكيـــان حصـــينا

لـــو غزتـــهُ مـــن الكراهـــات ريـــحٌ

لـــم يـــدم صـــفوهُ العجيـــبُ ســـنينا

لـــم تكـــن أنتجـــت بغيـــر صـــفاءٍ

ذلـــك الشـــهدَ والـــدواء الثمـــين

فاجعـــل النحـــل أســـوةً تأتســـيها

في الصـــــداقات مســــتعينًا مُعينـــا

مــن يُــرِدْ صــاحبًا بغيــر عيــوبٍ

فليَسَــــل عـــن عيوبـــه الآخــــرين

فـــارضَ بالأصـــدقاءِ وأبْـــقَ لـــديهم

مستشـــــيراً وناصـــــحًا وأمينـــا

إنهـــم كيفمـــا تكـــون يكونـــوا

فبالإحســـانِ تصـــنعُ المحســـنين

فلتُصَـــــادِق بحكمــــةٍ ووفـــاءٍ

مثمــرُ الغصــن أكثــرُ العــود لينــا

إن يكـــن بـــين الأصـــدقاء خـــؤونٌ

خذفتـــهُ خـــواطر المخلصـــين

تـــذهب الـــريح بـــالخفيف مـــن الحَـــبِّ

تزيـــلُ مــــن الحبــــوب المشــــين

وغرابيـــــــل دهـــــــرك ســــــتنقِّي

غـــثَّ أصــــحابك وتبقـــي الســـمين

■■■■■■

أُصَـــادِقُ نَفْـــسَ المَـــرْءِ قَبْـــلَ جِسْـــمِهِ

وأَعْرِفُهَـــا فِـــي فِعْلِـــهِ والـــتَّكَلُّمِ

وأَحْلُـــمُ عَـــنْ خِلِّـــي وأَعْلَـــمُ أَنَّـــهُ

مَتَـــى أَجْـــزِهِ حِلْمـــاً عَلـــى الجَهْـــلِ يَنْـــدَمِ

■■■■■■

إذا أنَــا لــم أَصْــبِرْ علــى الــذَّنب مِــن أخٍ

وكنـــتُ أُجازيـــه فـــأَين التفاضـــلُ

إذا مـــا دهــــاني مِفْصـــلٌ فقطعتـــه

بَقيــتُ ومــا لــي للنُّهــوض مَفاصــل

ولكــنْ أُدَاويــه فــإنْ صَــحَّ ســرَّني

وإنْ هــو أَعْيــا كــان فيــه تحامــل

■■■■■■

مــا كنــتُ مُــذ كنــتُ إلّا طــوع خِــلّاني

ليســتْ مؤاخــذةُ الإخــوانِ مــن شــاني

يَجنــي الخليــلُ فأســتحْلي جنايتَــه

حتّــى أدل علــى عفــوي وإحســاني

إذا خليلــي لــم تكثــرْ إســاءتِه

فــأين موضــعُ إحســاني وغُفــراني

يَجنــي علــيَّ وأحنــو صــافحًا أبــدًا

لا شــيء أحســن مــن حــانٍ علــى جــانِ

ألا إنمــــا الإخـــوانُ عِنـــدَ الحقـــائِق
ولا خيـــرَ في وُدِّ الصـــديق المُمَـــاذِق
لَعَمــرُكَ مــا شـــيءٌ مــن العَــيشِ كلّــهِ
أقــرَّ لِعَينـــي مـــن صـــديقٍ موافِـــقِ
وكــــلُّ صــــديقٍ لــــيس في اللهِ وُدُّهُ
فــإنِّي بـــه في وُدِّهِ غيـــرُ واثِـــقِ
أحـــبُّ أخـــًا في الله مـــا صـــحَّ دينُـــهُ
وأُفرِشـــهُ مـــا يشـــتَهي مـــن خلائِـــقِ
وأرغـــبُ عمـــا فيـــه ذُلٌّ دنيَّـــةٍ
وأعلـــمُ مـــا عِشـــتُ أن الله رازقـــي
صـــفيَّ مـــن الإخـــوانِ كـــلُّ موافـــقٍ

صـــبورٍ علـــى مـــا نابَـــهُ مـــن بوائِـــقِ

■■■■■■

مــــن لــــي بإنســــان إذا أغضــــبته

وجهلـــت، كـــان الحلـــم رد جوابـــه

وإذا طربـــت إلـــى المـــدام شـــربت مـــن

أخلاقـــه، وســـكرت مـــن آدابـــه

وتـــراه يصـــغي للحـــديث بطرفـــه

وبقلبـــــه، ولعلـــــه أدرى بـــــه

■■■■■■

ارْعَ الإِخــــــاءَ أبــــــا مُحمــــــد

للَّــــــذي يصْــــــفو وصُــــــنْهُ

وإذا رأيــــــــــتَ مُنافِســــــــــاً

في نيـــــل مكرمـــــــةٍ فكُـــــــنْ

إنَ الصـــــــــديقَ هــــــــو الـــــــذي

يرعــــــاك حيـــــث تغيـــــــب

■■■■■■

كـــم مـــن أخٍ لـــك لـــم يلـــده أبوكـــا

وأخٍ أبـــــوه أبـــــوك قـــــد يجفوكـــــا

صـــــافِ الكـــــرامَ إذا أردتَ إخـــــاءهم

واعلـــم بـــأن أخـــا الحِفـــاظ أخوكـــا

كـــم إخـــوةٍ لـــك لـــم يلـــدك أبـــوهم

وكأنمــــــا آبــــــاؤهم ولــــــدوكا

لـــو كنـــت تحملهـــم علـــى مكروهـــة

تخشـــى الهـــلاك بهـــا لمـــا خـــذلوكا

وأقــــارب لـــــو أبصـــــروك معلقًـــــا
بنيـــاط قلبـــك، ثَـــمَّ مـــا نصـــروكا
النـــاس مـــا اســـتغنيتَ كنـــتَ أخًـــا لهـــم
وإذا افتقـــــرتَ إلـــــيهم فضـــــحوكا

■■■■■■

ولســـــتُ ببَـــادي صـــاحِبي بقَطِيعـــة
ولســـتُ بمُفْـــشٍ سِـــرَّه حـــين يغْضـــبُ
عَليـــك بـــإخوان الثِّقَـــات فـــإنهم قليـــلٌ
فَصِـــلْهم دُون مَـــن كنـــت تَصْـــحَب
ومـــا الخِـــدْن إلا مَـــن صَـــفا لـــك وُدّه
ومَـــن هـــو ذو نُصْـــح وأنـــت مُغَيَّـــب

■■■■■■

يـــا صـــديقيِ الـــذي بَـــذَلْت لـــه
الـــودّ وأنزلتُـــه علـــى أحشـــائي

إنّ عَيْنـــاَ أقْـــذَيْتهَا لتراعيـــك
علـــى مـــا بهـــا مِـــن الإقـــذاءِ

مـــا بهـــا حاجـــةٌ إليـــك ولكـــنْ
هـــي مَعْقـــودة بحَبْـــل الوَفـــاء

■■■■■■

صِـــل مـــن هَوِيـــتَ وإن أبـــدى مُعاتبـــةً
فأَطيـــبُ العَـــيْش وَصـــلٌ بـــين إلْفـــين

واقْطَـــعْ حبائـــل خِـــل لا تُلائمـــه
فربِّمـــا ضـــاقتِ الـــدُّنيا علـــى إثْنـــين

المحتويات

صدر للمؤلف

١- الإصرار والاستهانة بصغائر الذنوب مهلكة.

٢- أهمية وضرورة وأثر مجاهدة النفس والتدبر والخوف والبكاء من خشية الله في حياة وسلامة القلب.

٣- عِظَمُ حق الجار والوصيّة به في الكتاب والسّنّة.

٤- عِظَمُ فضائل وجليل ثواب ذكر الله ﷻ.

٥- عِظَمُ فضلِ وأهميةِ الخشوع في الصلاة وجليلُ آثارِه وثمارِه.

٦- عظمةُ وحُرمةُ الأشهُر الحُرُم.

٧- كلماتٌ نَيِّرات فِي فضل وأهميةِ العلم وضرورة العمل به.

٨- "لا إله إلا الله" أفضل وأعظم الحسنات التي تُذهب وتمحو السيئات.

٩- الشّرك بالله يهدّد ويهدم الأعمال والأعمار ويحرم سعادة ونعيم الأبد.

صَدَرَ لِلمُؤلِف



ISBN 978-9931-616-48-1